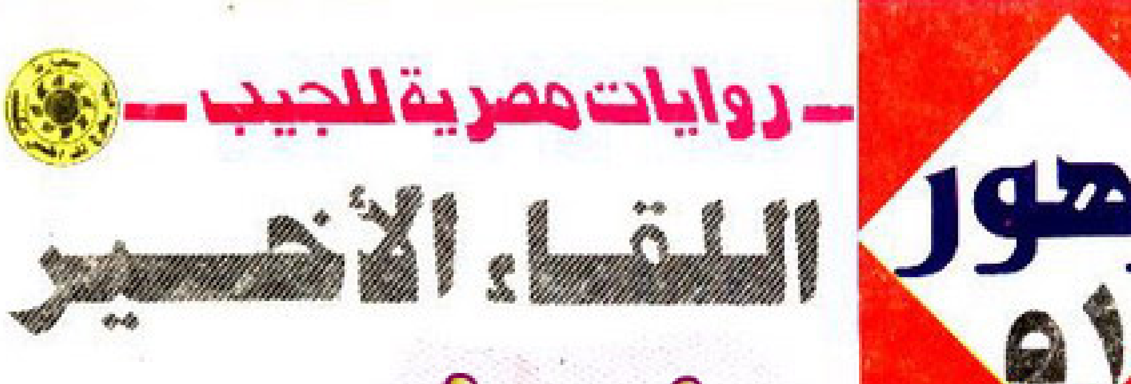




الناشر
المؤسسة العربية الحديثة
للطبع والنشر والتوزيع

هذه السلسلة ..

عندما تتحوّل حياة الفرد منا إلى صحراء جرداء ..
وعندما تجف مشاعرنا وتستحيل إلى أغصان يابسة ..
يتوق قلب كل منا إلى الحبّ .. الحبّ الذى يروى هذه المشاعر .
فيعيد إلى أوراقها الخضرة .. ويبدل صحراءها إلى بساتين مزهرة ، ورياض غناء .

إنه الحب .. الحب بمعناه الرحب : حب الحبيب .. حب الابن .. حب الأب .. حب الأم .. حب الوطن .. حب البشر ..

هذه الكلمة السحرية التى تذيب أحجار القلوب .. وتنبت الزهور اليانعة فى صخور المشاعر الصلدة ..

إنها الزهور التى ينشدها كل منا فى لحظات اليأس .. وفى لحظات الغضب .. وفى لحظات الكراهية .. وفى لحظات الجفاف .. فتشيع عبيرها الفوّاح في ثنايانا ، وتعيد الخضرة إلى قلوبنا ، والربيع إلى كهولتنا ، والأمل إلى حنايانا .

إن الحب بمعناه الكبير .. ومعناه السامى ، وبابتعاده عن الأنانية والرغبات والشهوات ، لهو أعظم شىء خلقه الله فى هذا الوجود !!

وفى هذا الزمن الذى طغت فيه الأطماع المادية والأنانية الفردية ، نحن نحتاج الآن لمن يسمو بمشاعرنا .. نحتاج لهذا النوع من الحب .. نحتاج لزهور نستنشق عبيرها ، فتحرّك مشاعرنا ، وترقق عواطفنا ..

وفى كل قصة من قصص هذه السلسلة ، دعنا ننتقل من زهرة إلى زهرة .. فى بستان ملؤه جمال المشاعر .. ورقة الأحاسيس .. وزهور الحب .

المؤلف

١ - لقاء فاتر ..

اندفعت (منى) وسط المستقبلين بشرفة المطار وكل ملامح وجهها تنطق بالشوق واللهفة ، فى انتظار وصول الطائرة القادمة من (دمشق) .. والتى تحمل بين ركابها (مجدى) .. حبها الكبير والوحيد .

لقد سألها ألا تجشم نفسها مشقة الحضور إلى المطار لاستقباله .. ولكنها لم تكن لتقوى على ذلك بأى حال من الأحوال .. ولم تكن لتستطيع أن تنتظر يومًا آخر حتى تلقاه ، وهى التى ظلت تحسب الأيام والأسابيع فى انتظار عودته .. بعد أن كانت لا تطيق أن يمر أسبوع واحد دون أن تراه . ولقد ارتدت اليوم ثوبًا جديدًا كلفها مبلغًا باهظًا بالنسبة لها يفوق ميزانيتها الضعيفة .. ولكنها أرادت أن تبدو أمامه فى كامل أناقتها وفى أبهى صورة .

وبالرغم من علمها بأن صاحب الشركة التى تعمل بها قد قرر الاستغناء عنها ، هى ومجموعة من الموظفين الآخرين فى نهاية هذا الشهر ، نظرًا لتقلص نشاط الشركة وتصفية بعض فروعها .. خاصة وهى تعمل لديه بعقد خاص .. وبأن هذا قد يسلمها إلى البطالة حتى يمكنها

الحصول على فرصة عمل أخرى .. إلا أنها لم تتوان فى شراء الثوب الجديد .

كما أن سعادتها بقرب وصول (مجدى) جعلها لا تحزن كثيرًا بسبب اضطرارها لترك العمل .

وعلى كل حال فهى لن تتوانى فى البحث عن عمل .. حقًا أن لديها مؤهلاً متوسطًا ، ولكنها تمتلك أيضًا إمكانات واسعة .. فهى تجيد العمل على الآلة الكاتبة . وعدة لغات .. كما أنها أيضًا تجيد التحدث والقراءة باللغة الفرنسية ، التى أتقنتها من خلال دراستها فى مدرسة (الليسيه) ، التى اهتم أبواها بإدخالها فيها قبل أن يرحلا عن الدنيا .. وكانا يأملان لها مستقبلاً واسعًا لا يقتصر على الحصول على مؤهل جامعى عال فقط .. بل وتكملة الدراسة حتى الحصول على (الماجيستير) والدكتوراه .. فقد كانت هى ابنتهم الوحيدة ومحط آمالهم وأحلامهم .

غير أن القدر لم يمهلهم لتحقيق هذه الآمال والأحلام التى تمنوها لها ، ووجدت (منى) نفسها وحيدة فى هذه الدنيا .. فعاشت مع خالتها .. وقامت بتعلم الآلة الكاتبة ، حتى تجد فرصة عمل سريعة لدى الشركة التى يعمل بها زوج خالتها ، والتى كانت بحاجة إلى عدد من الناسخات ممن يجدن اللغة الفرنسية قراءة وتحدثًا واختزالاً .

وسرعان ما تخلت هى نفسها عن أحلامها العريضة وتعاملت مع الأمور بواقعية وبامتثال للظروف الجديدة التى فرضت عليها ، فأتقنت العمل على الآلة الكاتبة فى فترة وجيزة .

كما عملت على تعليم نفسها اللغة الإنجليزية بجانب اللغة الفرنسية التى عملت أيضًا على زيادة إتقانها .

ومهد لها هذا الطريق لكى تأخذ مكانها فى الشركة التى عملت بها . وعندما تعرفت بـ (مجدى) وأحبته ، وكان بدوره موظفًا بسيطًا فى إحدى المؤسسات الحكومية ، ولا يمتلك سوى راتبه ، أيقنت أن حلمها الجديد بالزواج منه يحتاج إلى وقت طويل لتحقيقه .. وخاصة فى هذا الزمن الصعب الذى لا تكفى فيه الموارد المحدودة لتحقيق الأحلام .

فإمكاناته وإمكاناتها لا تسمح لهما بالعثور على شقة مناسبة ولا تفى بمستلزمات الزوجية .. ولا سيما وأن كليهما يتيم وبلا أسرة تسانده وتحمل عنه بعض العبء .

ولكنهما تعاهدا على تحمل مختلف المشاق وبذل المزيد من الجهد ، فى ممارسة أعمال أخرى بجانب عملهما لتوفير كل قرش يسهم فى تحقيق حلمهما وسعادتهما .

وعملت (منى) بالفعل فى عدة أماكن مختلفة

كناسخة ، بعد انتهاء ساعات عملها الرسمى للحصول على أجر إضافى يمكنها من ادخار مبلغ مناسب ، تساعد به (مجدى) فى تكاليف الزواج المطلوبة .

وبرغم أنها كانت أعمالًا مؤقتة تنتهى بانتهاء العمل المطلوب منها ، إلا أنها كانت توفر لها مبلغًا لا بأس به .

وكذلك استطاع (مجدى) أن يحصل على عمل إضافى لدى إحدى الشركات فى المساء ، لكى يتمكن من توفير نفقات الزواج والحصول على شقة تجمعه بالإنسانة الوحيدة التى عرف معها طعم الحب .. والتى أصبح زواجه منها أمنية عمره .

وبرغم التعب والجهد الذى كان يبذله كلاهما من أجل تحقيق هذا الأمل المنشود ، إلا أن مشاعر الحب القوية التى ربطت بين قلبيهما كانت تذلل أى صعاب .. وحلمهما الوردى بالزواج وبالشقة الصغيرة التى تجمعهما كان يهون عليهما متاعب الحياة .

ثم صدمها نبأ الاستغناء عنها من الشركة التى تعمل بها .. فقد كانت تؤدى عملها بكل جهد وإخلاص .. وحتى لو كانت النية تتجه نحو تقليص نشاط الشركة وتصفية بعض فروعها . فقد كانت أولى من غيرها بالاستمرار فى هذا العمل .. بما لديها من مؤهلات وصفات ترشحها

لذلك ، ولكن يبدو أن الوساطة كان لها الدور الأكبر فى المفاضلة والاختيار ، فاستغنوا عن خدماتها لصالح إحدى العاملات فى الشركة بالوساطة ، وكان مبعث حزنها عندما تلقت هذا الخبر .. هو أنها قد تضطر إلى التوقف لفترة من الوقت عن توفير بعض المال المطلوب للتعجيل بزواجها من حبيبها (مجدى) .. وهى التى كانت تصارع معه الزمن من أجل توفير نفقات حقهما البسيط والطبيعى من الحياة .

ولكنها على كل حال نسيت كل هذا اليوم .. وكان يتعين عليها أن تنساه ، فاليوم تلتقى بـ (مجدى) مرة أخرى .

لقد غاب عنها ثلاثة أسابيع كاملة .. وكم افتقدته طوال هذه المدة ، فغيابه أشعرها بمدى أهميته فى حياتها ، ومدى احتياجها إليه وإلى حبه الذى ملأ عليها حياتها القاحلة .. وأضفى عليها بهجة وسعادة من نوع خاص لم تجربها من قبل .. وهى الفتاة اليتيمة التى عاشت محرومة من الحب والحنان .

لقد اكتشف (مجدى) فجأة أن له عمًا .. وأن هذا العم يعيش فى (سوريا) منذ سنوات طويلة ، وأن هذا العم قد أرسل من يتحرى ويبحث عنه حتى عرف طريق منزله ، وطلب منه أن يعجل بالسفر إلى (سوريا) للقاء هذا العم

الذى لا يعرفه ولم يلتق به من قبل بناءً على طلبه .. خاصة وأنه فى أشد حالات المرض .. ويشعر بحاجته لأن يراه قبل أن يؤدى به هذا المرض إلى الموت .

وبرغم تشكك (مجدى) فى أمر هذا العم الذى ظهر له فجأة ، إلا أن كل المستندات والبيانات التى قدمها له الرسول الذى أرسل به عمه ، كانت تؤكد أن هذا ليس ادعاء .. وأن هذا الشخص بالفعل هو شقيق أبيه .

ولم يكن أمام (مجدى) سوى السفر برغم تردده للقاء عمه .. هذا اللقاء الذى ألح ذلك الرسول على تحقيقه ، بل وتوسل من أجل ذلك .. خاصة وأنه تعهد بتحمل جميع تكاليف السفر .

وقد اتفق (مجدى) مع (منى) على أن هذا الأمر لن يستغرق منه سوى ثلاثة أيام فقط .. ولكن الأيام الثلاثة امتدت ووصلتها منه رسالة مقتضبة تفيد بأنه قد يضطر إلى قضاء فترة أطول فى (سوريا) ، لبعض الظروف التى سيحكى لها عنها فيما بعد .

ومنذ يومين فقط تلقت منه برقية تفيد وصوله اليوم بعد ثلاثة أسابيع كاملة غابها عنها . كانت بالنسبة لها بمثابة ثلاث سنوات .

وكانت البرقية تتضمن أيضًا نبأ وفاة عمه على نحو مقتضب أيضًا .

ولكن سعادتها بوصول (مجدى) جعلها لا تحفل كثيرًا بهذا النبأ ، ولا تحاول التفكير فى تأثيره على (مجدى) .

ولا تدرى ما الذى جعلها تتذكر وهى فى طريقها إلى المطار ، حاملة كل هذه اللهفة وكل هذا الشوق تجاه حبيبها الغائب .. رجلا آخر كان له دور فى حياتها .. برغم بساطة هذا الدور بالنسبة لها .

لقد كان ذلك الشخص من ضمن عملاء الشركة التى تعمل بها .. وكان أكبر من (مجدى) بحوالى خمس سنوات فقط .

لقد أحبها منذ وقعت عيناه عليها ، ولم يستغرق الأمر بالنسبة له وقتًا طويلًا ، فقد كشف لها عن حبه وعرض عليها الزواج .. ولو قبلت لكانت الآن زوجته ، ولكن ظهور (مجدى) فى حياتها باعد بينها وبينه ، ويبدو أن رفضها طلبه كان صدمة قاسية بالنسبة له ، فهى لا تستطيع أن تنسى نظرة الحزن التى أطلت من عينيه ، عندما أخبرته بأنها لا يمكنها إجابته إلى طلبه لأنها تحب شخصًا آخر ، وأن عليه أن يتوقف عن ملاحقتها ومعاملتها بطريقة تختلف عن بقية موظفى الشركة .

وقد أطرق المسكين مليًا ثم قال لها :

ـ الحب لم يعرف طريقه إلى قلبى وحياتى إلا منذ أن

رأيتك .. وبقدر حزنى وألمى لحرمانى منك بقدر ما أتمنى لك السعادة مع الشخص الذى اخترته .

ثم صمت برهة قبل أن يردف قائلا :

ـ وتأكدى أننى لن أضايقك بعد اليوم .. ولكن إن وجدت نفسك فى ضيق ذات يوم فلا تترددى فى اللجوء إلىّ .

وأغمضت (منى) عينيها وكأنها تتعمد أن تمحو منهما تلك الصورة لوجه (نبيل) الحزين ، ونظرة الأسى المرتسمة فى عينيه .

كم شعرت بالحزن من أجله والإشفاق عليه وهى التى تقدر قيمة الحب وسطوة المشاعر .. ولكن ماذا كان يمكنها أن تفعل من أجله وقد خرج الأمر من يديها وقد أحبت سواه .. أحبت (مجدى) الذى ملك عليها كل مشاعرها وأحلامها .

واستقرت الطائرة فوق أرض المطار فتلاحقت أنفاسها وهى تتلهف على رؤيته .

وظلت عيناها تتابع الهابطين من الطائرة وهى على أحر من الجمر .

حتى لمحته .. فأخذت تلوح له بيدها محاولة لفت انتباهه ، ولكن يبدو أنه لم يكن مهتمًا بالتطلع إلى المستقبلين فى شرفة المطار إذ ظل يسير بخطى ثابتة ناظرًا أمامه دون أن ترتفع عيناه إلى أعلى ، وقبل أن يدرك باب

الوصول حانت منه التفاتة نحو الشرفة ، حيث رآها وهى تقفز ملوحة له فى فرحة وسعادة غامرة لرؤيته ، فرفع يده ملوحا لها فى شىء من التثاقل ، ثم دلف إلى صالة المطار سريعًا ، واندفعت (منى) تقفز درجات سلم الشرفة لتستقبله حيث وقفت تنتظر عبوره الدائرة الجمركية ، وفى عينيها كل الشوق والحنين .

وما إن عبر الدائرة الجمركية وأصبح على بعد خطوات منها ، حتى هتفت باسمه قائلة :

ـ (مجدى) .. حمدًا لله على سلامتك .

ولولا إحساسها بالخجل لاندفعت لتلقى نفسها بين أحضانه ، ولكنه مد لها يده مصافحًا وهو يقول فى جفاء لم تنتبه له من شدة فرحتها بحضوره :

ـ (منى) .. ألم أقل لك إنه لا داعى لحضورك إلى المطار ؟

قالت وهى تتأمل ملامح وجهه التى غابت عنها لأيام ظنتها أشهرًا طويلة :

ـ وهل كان بإمكانى ألا أحضر وأكون أول مستقبليك بعد كل هذه الغيبة الطويلة ؟

قال دون أن يتخلى عن جفانه :

- إن ثلاثة أسابيع لا تعد فترة طويلة .

قالت وهى تحتضنه بعينيها :

- لقد بدت لى وكأنها ثلاث سنوات .

ابتسم قائلا بشىء من التهكم :

- يالك من فتاة رومانسية !

وسار فى طريقه إلى باب المطار الخارجى ، فاحتضنت ذراعه قائلة :

- آسفة .. نسيت من شدة فرحتى بعودتك أن أعزيك فى وفاة عمك .

رد عليها قائلاً :

- على كل حال لقد كانت الفترة التى تعرفت عليه فيها قصيرة جدًا .

وازدادت احتضانًا لذراعه بكلتا يديها ، وكأنها تخشى أن يفلت منها ويغيب عنها مرة أخرى قائلة فى وجد :

- آه لو تعلم يا (مجدى) يا حبيبى كم افتقدتك .. إياك أن تبتعد عنى مرة أخرى لأى سبب من الأسباب .

قال وهو يتخلص من ذراعها ليشير لإحدى سيارات الأجرة :

- من يدرى ؟.. قد تكون الأسباب أحيانًا أقوى من إرادة الإنسان .

ولأول مرة تنبهت (منى) إلى الطريقة الجافة التى يحدثها بها (مجدى) ، فنظرت إلى وجهه قائلة :

- (مجدى) .. ماذا بك ؟

التفت إليها قائلًا وهو يحاول أن يخفف من لهجته الجافة :

- لا شىء .. إننى فقط أشعر ببعض الإرهاق من السفر .

تهرب من تلك النظرة الحائرَة فى عينيها وهو يعاود الإشارة لإحدى سيارات الأجرة التى توقفت أمامه ، ليضع فيها حقائبه ، وبرغم القلق الذى استولى على (منى) إلا أنها حاولت أن تتخلص منه قائلة لنفسها :

- نعم .. لابد أنه مرهق من السفر .. وربما كان متأثرًا بسبب وفاة عمه برغم أنه يحاول إخفاء ذلك .

وما لبثت أن استقرت بجواره فى سيارة الأجرة حيث طلب من السائق أن يتوجه بسيارته إلى منزلها .

واعترضت قائلة :

- بل سأرافقك إلى منزلك أولاً .

قال ووجهه يحمل نفس التعبير المتجهم :

- لا داعى لذلك .. سأوصلك إلى منزلك ثم أذهب إلى منزلى بعد ذلك .

قالت معترضة :
- ولكن يا (مجدى) ...
قاطعها ليقطع عليها احتجاجها :
- ثم نتقابل غدًا .. الساعة الخامسة فى مكاننا المعتاد .
عادت لتنظر إليه وفى عينيها تلك النظرة قائلة :
- لم أتوقع أن أراك على هذا النحو .
قال وفى عينيه هو الآخر نظرة تردد :
- لقد أخبرتك أننى متعب من السفر .. وأول ما سأفعله عندما أذهب إلى منزلى هو أننى سأحصل على قسط وافر من النوم ، علنى أن أستعيد حالتى الطبيعية .. وغدا عندما نتقابل سيكون لدينا الوقت الكافى للحديث معًا .
قالت وقد أحست أن هذا الرد لم يرو غليلها :
- (مجدى) .. هل افتقدتنى كثيرًا كما افتقدتك ؟
قال لها بعد برهة من الصمت :
- بالطبع .. بالطبع .. لقد افتقدتك .
(منى) :
- .. لماذا لا يبدو عليك ذلك إذن ؟
وأطلق زفرة قصيرة قائلاً :
- هل سأعاود التفسير لك مرة ثالثة ؟
قالت وقد خشيت أن تثير ضيقه :

- حسن .. حسن .. لن أضايقك بسؤالى مرة أخرى .. إننى فقط أردت أن تعرف إننى اشتقت إليك كثيرًا .
لم يرد عليها بل ظل صامتا وهو ينظر إلى الطريق أمامه .
وانتابها إحساس غامض بأن هذا الشخص الجالس بجوارها ليس (مجدى) الذى عرفته ، وأن التغيير الذى يبدو عليه يتعدى شعوره بالتعب من إرهاق السفر .
إن الذى عاد إليها شخص آخر مختلف كثيرًا عن (مجدى) الذى أحبته ، والذى كان يذوب شوقًا وحنينًا إليها ، ويعد الساعات للقائها برغم أنهما كانا تقريبًا لا يفترقان يوميًا .
وانقلب إحساسها إلى خوف مبهم جعلها تشعر بأن حبها يتعرض لخطر ما ..
خطر مجهول لا تعرف كنهه .
وتمنت أن يكون إحساسها ومشاعرها مخطئين .
وما لبثت أن تنبهت إلى صوته وهو يفتح لها باب سيارة الأجرة قائلًا :
- مع السلامة يا (منى) .. سأنتظرك غدًا كما اتفقنا .
هبطت من السيارة وهى تجر خلفها أذيال الخيبة .. خيبة اللقاء الذى لم تتوقع أن يأتى فاترًا على هذا النحو من

جانب حبيبها الغائب ، ذلك اللقاء الذى ظلت تعد من أجله الأيام والساعات .. والذى تصورته حارًا ودافئًا بقدر شوقها وحنينها الذى لم يخمد لحظة واحدة منذ غياب (مجدى) .

ولكن (مجدى) عاد مختلفًا ..

مختلفًا كثيرًا .





٢ - الحقيقة المؤلمة ..

قضت (منى) ليلة مؤرقة وهى تحاول أن تطرد من عقلها وقلبها تلك الأفكار المظلمة حول تحول (مجدى) عنها وعن حبه لها .

ولكن ما إن أتى الصباح حتى كانت قد تخلصت من هذه المخاوف تمامًا ، وهى تقول لنفسها إنه من المستحيل أن يكون قلب (مجدى) قد تحول عنها ، وهى التى تعرف جيدًا مدى حبه لها كما تعرف نفسها .

وما إن حانت الساعة الخامسة حتى كانت فى طريقها إلى ذلك (الكازينو) الذى اعتادت أن تلقاه فيه ، وما زالت تحمل بين جوانحها تلك اللهفة وذلك الشوق إليه

وفى الركن الذى اعتادا أن يجلسا فيه وجدته جالسًا فى انتظارها .

ووقفت تتأمله للحظات قبل أن تذهب إليه ، وكأنها تحاول أن تملأ عينيها منه ، وأن تمنح نفسها الفرصة لمراقبة وجهه الذى أحبت كل جزء منه دون أن يحول بينها وبينه أى عارض .

وأزعجها أن تراه واجمًا يتأمل صفحة النيل الممتد أمامه .

كان من الواضح أن هناك شيئًا يشغله ويقلق تفكيره ، وأن حديثه أمس عن إرهاق السفر لم يكن سرّ وجومه على هذا النحو .

وذهبت إليه ، فنهض لاستقبالها ، ولم تحاول أن تكشف عن انزعاجها وهى تقول بلهجة مرحة :

ـ هل تأخرت ؟

قالت بهدوء :

ـ ليس كثيرًا .

قالت وهى تجلس مداعبة :

ـ انظر إلى ساعتك جيدًا .. لقد تأخرت عشر دقائق . لقد كنت فيما مضى تحاسبنى حسابًا عسيرا لو تأخرت عليك خمس دقائق .

لم يحاول التعليق على ما قالته .. بل أخذ يعبث فى سلسلة مفاتيح وهو ينظر إليها فى شىء من التردد .. ثم ما لبث أن قال :

ـ ماذا أطلب لك ؟

أجابته وقد عاودها القلق :

ـ كالمعتاد .

أشار للجرسون وطلب منه إحضار كوبين من العصير .. ثم عاد للعبث بمفاتيحه وهو ينظر إلى الماء تارة وإليها تارة أخرى .

فسألته قائلة وهى تحاول أن تقطع ذلك الصمت المبهم :

ـ هل حصلت على قسط وافر من النوم بالأمس ؟

أجابها قائلاً :

ـ كان نومى قلقًا بعض الشىء .

(منى) :

ـ وكذلك أنا .. لقد قضيت ليلة مؤرقة .

مرت بينهما برهة من الصمت عادت لتقطعها قائلة :

ـ لقد أوحشتنى كثيرًا .

رسم على وجهه ابتسامة باهتة وهو يقول :

ـ وكذلك أنت .

قالت ووجهها يحمل معنى الإحساس بخيبة الأمل :

ـ لا يبدو عليك ذلك .

قال ببرود :

ـ لماذا تقولين هذا ؟

(منى) :

ـ لأنه لا يوجد فى هذه الدنيا إنسانة تستطيع أن تعرفك وتحس بك أكثر منى . هناك تغيير ملحوظ أراه واضحًا عليك ، ولا تقل لى هذه المرة إن السبب هو إرهاق السفر .

تهرب من تساؤلها قائلا :

- إنك لم تسألينى شيئًا عن المرحوم عمى .

وبرغم تهربه الواضح وشوقها الجارف إلى أن تسمع منه ردًا يخلصها من حيرتها وقلقها حتى لو كان ردًا كاذبًا .

لم تحاول أن تضغط عليه أو تحاصره بأسئلتها ؛ لأنها فى اشتياق لنظرة حب ولمسة رقيقة من يده ، وكلمة عذبة تطمئنها على أنه ما زال يحبها تخرج من شفتيه ، واستجابت قائلة :

- لم تكن متحمسًا بالأمس للحديث عنه .. وعلى كل حال لابد أنك حزنت لموته .

(مجدى) :

- لقد شملنى بعطف بالغ خلال الأيام القلائل التى التقيت به فيها برغم شدة مرضه .

(منى) :

- ولكن ما الذى جعله يتذكرك بعد كل هذه السنوات الطويلة التى فرقت بينكما ؟ خاصة وأنك لم تكن حتى تدرى أن لك عمًا .. أكان مرضه وشعوره بقرب منيته هو السبب ؟

أجابها باقتضاب :

- نعم .

وضع الجرسون العصير أمامهما حيث تناولت (منى) رشفة من كوبها وهى تنظر إلى (مجدى) الذى عاد إلى

صمته وإلى ذلك التردد الذى تنطق به ملامحه ، وما لبثت أن قالت وهى تحاول أن تقطع هذا الصمت من جديد :

- هل اكتشفت لك أقارب آخرين غير عمك فى (سوريا) ؟

انفعل فجأة قائلًا بشىء من الضيق :

- لماذا لا نكف عن ذلك الحديث ؟

قالت وقد أدهشها انفعاله :

- آسفة .. ولكن أنت الذى طلبت منى أن أسألك عن عمك .

أطلق زفرة قصيرة وقد بدا عليه الإحساس بالندم لانفعاله :

- أنا الذى يتعين علىّ أن أعتذر لك .. أعذرينى يا (منى) ، فأعصابى مضطربة قليلاً .

حدقت (منى) فى وجهه وهى تقول :

- (مجدى) ما الذى تحاول أن تخفيه عنى ؟

نظر إليها (مجدى) بدوره وقد بدا أنه يحاول أن يستجمع شجاعته قبل أن يقول :

- أعتقد أنه من الأفضل أن أكون صريحًا معك الآن ، وألا أخفى عليك ما فى نفسى أكثر من ذلك .

فقد تعاهدنا على الصراحة منذ أن تحاببنا .. واتفقنا

على ألا نتخلى عن هذه الصراحة فيما بيننا مهما كانت قسوتها .. فهى أفضل بكثير من إخفاء الحقائق .. أليس كذلك يا (منى) ؟

أحست (منى) من لهجته أنه سيفاجئها بقول يزلزل سعادتها .. ويطيح بأحلامها .. ولكنها تماسكت قائلة :

ـ نعم .. إننى أتذكر ذلك جيدًا .

(مجدى) :

ـ وتذكرين ما قلته لى عن صديقتك (مديحة) ؟

(منى) :

ـ نعم .. وهذا أيضًا أذكره .

(مجدى) :

ـ لقد قلت لى يومها إن صديقتك اكتشفت فجأة أن خطيبها يهيم بفتاة أخرى ، وأنه ظل يخفى هذه الحقيقة طويلاً عن خطيبته خوفًا من أن يجرح مشاعرها .. لأنها لم ترتكب فى حقه أى خطأ .. تستحق من أجله أن يعترف لها بأنه قد أحب سواها ، وأنه يريد فسخ الخطبة .

وأخبرتنى أن هذا الاكتشاف جاء بمثابة الصدمة بالنسبة لصديقتك ، وأنها ظلت تبكى أمامك طويلاً .

لقد قلت لك يومها إن خطيبها قد ارتكب خطأ كبيرًا فى حقها ، وأنه تصرف معها بنذالة .

ورددت علىَّ قائلة بأن للقلب أحكامه ، وأن خطأه الحقيقى هو أنه أخفى عنها هذه الحقيقة طويلاً ، وكان يتعين عليه أن يصارحها بتحول مشاعره عنها منذ البداية مهما كانت الأسباب ، وأنك لو كنت مكانها لفضلت أن يقول لك خطيبك أنه لم يعد يحبك ، بدلاً من أن يخدعك على هذا النحو الذى تصرف به خطيب صديقتك .

نظرت إليه (منى) طويلاً وقد أدركت الهدف الذى يريد الوصول إليه من حديثه معها ، وتذكيرها بذلك الحديث القديم الذى دار بينهما . أحست بأن هذا الرجل الذى تحبه كل الحب على وشك أن يسدد طعنة قاتلة إلى قلبها .

كانت تحدق فى وجهه تحديقًا شديدًا وشفتاها منفرجتان ، ونظرة ذاهلة تطل من عينيها .. لكن هذا لم يمنعها من أن تسأله وهى ترتجف قائلة :

ـ (مجدى) .. لماذا لا تخبرنى بما تريد قوله دون كل هذه المقدمات ؟ إننى مستعدة لسماع ما تريد أن تقوله .

ولكنها فى الحقيقة كانت تخشى أن تسمع منه ما أحست به فى نبرات صوته ، وتمنت لو كذب عليها وقال شيئًا آخر غير الذى أحسته .. بل تمنت لو بقى صامتًا ولم يقل أى شىء .

حقًا أنهما تعاهدا على الصدق والصراحة .. ولكن تبًا

لهذه المعاهدة ولتلك الصراحة إذا كانت ستحمل فى طياتها تلك القسوة التى تتوقعها ، وذلك الألم الذى تخشاه .

ولكن ما كانت تخشاه وتتوقعه حدث .. فقد ارتجف (مجدى) وهو يقول لها متلعثمًا :

- سامحينى يا (منى) .. ليتك تسامحيننى .. لا أدرى ماذا حدث لى ولا أفهم كيف حدث هذا التحول فى نفسى .. ولكننى أشعر بأننى لا أحبك بما يكفى لكى نتزوج .

إن الفترة التى غبتها فى (دمشق) جعلتنى أراجع نفسى ، وأتأمل مشاعرى نحوك بمنظار العقل ، لا باندفاع العاطفة . ووجدت أن الذى جمع بيننا هو تشابه الظروف التى مررنا بها ، واحتياج كلا منا للآخر فى هذه الفترة التى تقابلنا فيها .. لكنه لم يكن حبًا بالمعنى الصحيح .. أعنى ليس هو الحب الذى يمكن أن يبنى عليه زواج ناجح .

وصمت قليلاً قبل أن يقول :

- هل تفهميننى يا (منى) ؟

ولكنه لم يستطع أن يواجه طويلاً تلك النظرة الذاهلة المحدقة فى وجهه فقال مرتبكًا :

- لا تنظرى إلىَّ هكذا .. تحدثى .. قولى شيئًا .

لقد أحست .. ورأت التغيير الذى يبدو عليه .. وتوقعت

أن يصدمها بكلمات من هذا القبيل ، ولكنها بالرغم من ذلك لم تكن قادرة على أن تصدق ما تسمعه أذناها .

وعاد هو ليحثها على أن تكلمه قائلا :

- أرجوك يا (منى) قولى شيئًا .. صمتك هذا يعذبنى .

وظلت لبرهة من الوقت عاجزة عن النطق .. إلى أن وجدت فى نفسها القدرة أخيرًا لكى تتحدث إليه قائلة :

- ولكن أى ذنب ارتكبته فى حقك .. لكى ينقلب حبك نحوى هكذا ؟!

وتلفتت حولها وهى تقول وكأنما تحادث نفسها :

- ماذا صنعت لكى ألقى منك هذا ؟.. قل لى بالله عليك ، لقد كان حبنا مثاليًا .. وأنا أحببتك بكل صدق وإخلاص .. كل شىء بيننا كان على أحسن وجه .. فلماذا ؟ لماذا انقلب كل هذا خلال أيام قلائل ؟

نعم ما ذنبها ؟ وماذا صنعت لكى ينقلب حبه نحوها على هذا النحو ؟

لا شىء .. و (مجدى) يعرف أنه لا ذنب لها وأنها لم ترتكب شيئًا تعاقب عليه بالصد والهجران .

وانتفضت فجأة ..

من يدرى ؟..

لعله أراد أن يختبر مقدار حبها له ..

ولعله يمزح وقد تسمعه بعد برهة يضحك لأنها قد صدقت قوله هذا .

ولكن (مجدى) أردف قائلًا :

ـ حاولت أن أفسر هذا الأمر فلم أستطع .. إننى أعترف بأننى لا أجد تبريرًا كافيًا لهذا التحول الذى طرأ على مشاعرى نحوك .. وأى تبرير سأقوله سيكون غير مقبول ولا مقنع .

نعم لقد كان كل شىء بيننا مثاليًا ويبدو على أحسن وجه .. ولكن هذا هو ما كان ظاهرًا على السطح ، أما فى أعماق نفسى ، وحتى قبل أن أسافر ، فقد بدأ يتسرب إلىَّ الشعور بالملل .. وأحسست بأن لهفتى على لقائك لم تعد على الصورة التى عهدتها فى نفسى ، كان هناك شىء من الفتور قد بدأ يعترى حبى لك .. وعندما سافرت أحسست بأننا فى حاجة إلى إعادة النظر فى حقيقة وقوة مشاعرنا ..

إننى لا أستطيع أن أتزوجك إلا بعد أن أتأكد تمامًا .. أننى .. أننى .. أحبك .

وأشارت له بيدها لكى يتوقف عن الكلام وهى تحاول مقاومة دموعها قائلة :

ـ كفى .. كفى .. لا تكمل .

(مجدى) :

ـ إننى لا أعنى أن نفترق كلية .. ولكن أن نمنح أنفسنا فرصة ..

وصاحت فيه مقاطعة وفى صوتها ما يشبه الرجاء :

ـ قلت لك كفى .. لا تكمل .

واندفعت تغادر المكان وهى تتناول منديلها لكى تمسح عبراتها التى بدأت تسيل على وجنتيها .

وما لبث أن لحق بها لدى باب (الكازينو) قائلًا :

ـ (منى) .. أرجوك لا داعى للبكاء .

نظرت إليه نظرة فتاة مجروحة تحاول أن تتماسك وهى تقول :

ـ نعم .. معك حق ، الأمر لا يستحق البكاء .

وارتسمت على وجهه ملامح الإحساس بالشفقة والندم وهو يقول :

ـ (منى) .. إننى لا أتحمل فكرة أن أكون السبب فى إيلامك على هذا النحو .. أرجوك اغفرى لى .. وإذا أردت فلننس الأمر .

ابتسمت فى مرارة قائلة :

ـ أنسى .. أنسى أنك قلت إنك لم تعد تحبنى ؟! كيف يمكننى أن أنسى ذلك ؟

لقد كنت أهيم بك حبًا .. وكنت أظن أن حبنا ينتمى لعصر غير هذا العصر الذى نعيشه لفرط قوة مشاعرنا ، أو بمعنى أصح مشاعرى نحوك ، وما ظننت أنه شعورك نحوى .

كنت أحسب الأيام والساعات فى انتظار عودتك وكلى لهفة وشوق ، وكنت أحلم باليوم الذى يضمنا فيه بيتٌ واحد .. زوجًا وزوجة يعشق كلٌ منهما الآخر .

ولكنك عدت لتهدم كل شىء .. عدت لتصدم لهفتى واشتياقى .. عدت لتدوس بقدميك أحلامى .. عدت لتحطم قلبى .

نكس رأسه قائلًا :

- إننى نادم على ما قلته .

(منى) :

- ولكن هذا لا يمنع أنك قلته .. وندمك لن يغير من الحقيقة شيئًا .

ثم تأملته قليلًا قبل أن تقول :

- ترى .. من هى تلك الفتاة الأخرى التى ظهرت فى حياتك ؟

رفع إليها رأسه فى دهشة قائلًا :

- فتاة .. أية فتاة .

(منى) :

- التى جعلت قلبك يتحول عنى على هذا النحو .

(مجدى) :

- أقسم لك إنه لا توجد أية فتاة أخرى .

وجدت نفسها تقول له فجأة ودون أن تدرى بصوت فيه نبرة توسل ورجاء :

- أحقيقة يا (مجدى) .. أنك لم تعد تحبنى ؟

عاد ليطرق برأسه إلى الأرض صامتًا دون أن يجيبها بشىء . وأمسكت بوجهه لتجبره على النظر إليها قائلة :

- انظر إلىّ .. وقل إنك تكذب .. قل إن ما قلته منذ لحظات لم يكن حقيقيًا .

قال لها فى نبرة مستسلمة :

- حسن .. سأفعل إذا كنت تريدين ذلك .

انتحبت قائلة :

- كلا .. ليس هناك ما يضطرك لأن تقول شيئًا لا تحسه .. يا إلهى ماذا أفعل ؟ وكيف أتصرف على هذا النحو ؟

ونظرت إلى عينيه فوجدتها وقد اغرورقت بالعبرات .. إنه يتألم كما تتألم ، ولكن شتان ما بين آلامها وآلامه .

إنها تودع حبها وسعادتها بين يديه الآن .. أما هو فآلامه من عذاب ضميره .. وندمه على ما سببه لها من حزن وشقاء .

وعاد ليقول لها بصوت خافت :

- (منى) .. هل ستسامحيننى ؟

إننى أكره أن أبدو أمامك شخصًا قاسيًا .. ولكننى أفضل أن أكون معك شخصًا صادقًا ، لقد وصفت لك مشاعرى كما أحسستها .. وهذا أفضل من أن أخدعك ، أليس كذلك ؟

نظرت إليه قائلة :

ـ أشكر لك صدقك على كل حال .. ولكن ليتك عندما تجد تفسيرًا لتغير مشاعرك نحوى بهذه الصورة المفاجئة ودون ذنب ارتكبته فى حق حبنا ، أن تخبرنى به .. لأننى سأبقى طوال عمرى أتساءل وأبحث عن تفسير يوضح لى زوال هذا الحب الذى كنت تتشدق به ليلًا ونهارًا .. وكل تلك الأحاسيس الرائعة التى كنت تبثها لى ، والتى اكتشفت فجأة ودون ما سابق إنذار أنها لا تنبئ عن حب حقيقى .. ولا تكفى لتربط بيننا فى زواج أبدى .

قال متألمًا :

ـ (منى) إنك تعذبيننى .

ابتسمت فى مرارة قائلة فى تعجب :

ـ أنا التى أعذبك ؟!

وتلفتت حولها .. ثم قالت وهى تنزع دبلة الخطبة من أصابعها لتقدمها له :

ـ أعتقد أنه يتعين علينا الآن أن نفترق .

أمسك (مجدى) بالدبلة ، وعلى وجهه شعور بالأسف والندم قائلًا :

ـ كلا .. إننى لن أدعك تذهبين وأنت تكرهيننى على هذا النحو .

قالت مستنكرة :

ـ أكرهك ؟!. وكيف يتسنى لى أن أكرهك ؟ لقد امتلأ قلبى حبًا لك حتى لم يعد فيه مكان للكراهية .. وحتى فى هذه اللحظة التى تجرحه فيها ، لا يقوى على أن يحمل لك أى شعور بالبغض .

إن حبه لك ليس من النوع الذى ينقلب بين يوم وليلة ، ولا يحمل بين طياته ذرة شك أو تساؤل حول ما إذا كان هذا الحب حقيقيًا أم لا ، وقويًا بما يكفى أم لا .

ثم نظرت إليه وهى تتأمل ملامح وجهه قليلًا قبل أن تفارقه قائلة :

ـ وداعًا يا (مجدى) :

وغادرت الرصيف الذى كانت تقف عليه معه متجهة إلى الجهة الأخرى من الطريق .

وخيل لها أنه يهم باللحاق بها وأنه سيعيدها إليه ويكذب كل شىء قاله ، ولكنه بقى واقفًا فى مكانه دون حراك .

(٥ م ٣ ـ هـ : ٥١١٠ / اللقاء الأخير)

وأيقنت أن هذه أيضًا هى إحدى خيالاتها الخادعة .. وأن عليها أن تتوقف عن الخيالات وعن الأحلام .

وأن تستسلم بعد اليوم لحقيقة أن كل ما بينها وبين (مجدى) قد انتهى .

انتهى إلى الأبد ..

* * *



٣ - ارحل عن قلبى ..

ألقت (منى) بنفسها فوق الفراش وأطلقت العنان لعبراتها .

كانت ما تزال تحت تأثير الصدمة التى عصفت بها وبأحلامها .

وقالت فى نفسها :

- ربما كان هذا حلمًا سأستيقظ منه فيما بعد .

وهزت رأسها فى لوعة :

- كلا .. كفى خداعًا للنفس ، هذه هى الحقيقة المرة ... فلماذا أحاول إنكارها كل مرة .. إن ذلك لن يغير من الأمر شيئًا .

وعادت تسأل نفسها فى حيرة :

- ولكن .. كيف ؟.. كيف استطاع (مجدى) أن ينكر حبنا على هذا النحو ؟ لقد كنت أمنّى نفسى اليوم بلقاء حار .. وكنت أتصور (مجدى) وهو يبثنى شوقه وحنينه بعد غيابه عنى تلك الأيام الماضية ، بل لقد اشتطّ بى الخيال إلى أنه سيحدثنى عن التعجيل بزواجنا ، وتحديد موعد قريب لهذا الزواج .

ولكن كل هذا ذهب أدراج الرياح .. وحلت الصدمة محل الحلم .

واستعادت عبارته عندما قال :

- إننى لا أستطيع أن أتزوج منك إلا بعد أن أتأكد تمامًا أننى أحبك .

وقارنت بينها وبين ما كان يقوله لها من قبل .

- (منى) .. لقد قيل الكثير عن مشاعر الحب .. ولكن صدقينى إننى أعجز عن التعبير عن حبى لكِ .. وأشعر دائمًا بأن عاطفتى نحوك أقوى من أى وصف .. والشىء الوحيد الذى أستطيع أن أتحدث به عن هذا الحب هو أنه سيبقى دائمًا فى قلبى وحتى نهاية العمر .

ألا ما أبعد المسافة ما بين تلك الكلمات .. وما قاله لها .

ما أعجب التغيير الذى يمكن أن يحدث للمرء ما بين يوم وآخر .

بالأمس كان حبه شيئًا يفوق الوصف .. واليوم ينكر وجوده ويدعى عدم الثقة بأحاسيسه ومشاعره .

وتنبهت فجأة وهى فى غمرة أحزانها إلى خاطر ورد على تفكيرها :

- لماذا يكون هذا التحول فى مشاعر (مجدى) قد طرأ خلال الأسابيع والأيام الماضية ؟

لماذا لا يكون هذا الحب الذى ادعاه لا وجود له منذ البداية ، وأنه كان يخدعها ويغرر بمشاعرها ؟

نعم .. إنها لا تستطيع أن تصدق أن تغيره هذا نحوها قد حدث هكذا فجأة خلال تلك الفترة القصيرة .. خاصة أن كل شىء بينهما كان على ما يرام .. وكانت ترى وتحس بمدى صدق وقوة حبه لها فى كل لحظة تلقاه فيها .

إذا كان الأمر كذلك .. فإن ذلك الشخص الذى أحبته لم يكن سوى ممثل بارع عرف كيف يخدعها ويقنعها بحب زائف .

وعادت لترفض هذه الفكرة قائلة لنفسها :

- كلا .. لا يمكن أن يكون كل هذا الذى كان بيننا مجرد زيف وخداع ، لا يمكن أن أكون قد خدعت على هذا النحو .. لقد كنت أحس بحبه فى كل كلمة .. وفى كل لمسة .

وعادت مرة أخرى إلى ذلك الخاطر الذى طرأ على تفكيرها من قبل وهى تقول :

- لابد أن فى الأمر فتاة أخرى .. نعم .. المرء لا يتحول فى مشاعره بهذه الصورة إلا إذا كان فى الأمر فتاة أخرى .. وحب جديد تسلل إلى قلبه .

لقد أقسم لها بأن هذا لم يحدث .. ولكنها لن تصدق قسمه .. فليس هناك ما يدعوك لأن تثق به وتصدقه بعد اليوم مهما حلف بأغلظ الأيمان .

وأقنعت نفسها بهذه الحقيقة وهى مبلبلة التفكير ممزقة المشاعر وعادت لتنتحب بشدة وهى تعضَ بأسنانها على الوسادة قائلة :

ـ فتاة أخرى .. حب جديد .. أهان عليك يا (مجدى) أن تخوننى بعد كل هذا الحب الكبير الذى جمع بيننا ؟ أيمكن أن تجعل لفتاة أخرى مكانًا فى قلبك وقد عاهدتنى على أن يبقى حبك لى خالدًا فى قلبك طوال العمر ؟ أيمكن أن ينتهى كل شىء بيننا على هذا النحو ؟

وأحست بعينيها تلتهبان من شدة البكاء والنحيب ، ثم ما لبثت أن استسلمت مرة أخرى لتلك النهاية التى فرضها عليها القدر وهى كسيرة القلب .. مجروحة المشاعر .

لقد انتهى ما بينها وبين (مجدى) وعليها أن تعد نفسها منذ اليوم للتعامل مع هذه الحقيقة ، وإن كانت تعلم جيدًا أنها ستعجز عن أن تكرهه ، بل هى واثقة من أنها ستبقى محتفظة بحبها له .. بالرغم من كل شىء ، فهذا هو الشىء الذى لن تقوى على تغييره .. وإن كانت لابد وأن تقوى على فراقه بعد أن جرح كرامتها وأهان حبها على هذا النحو الذى لم تتخيله .

ونهضت من فوق فراشها لتنظر إلى نفسها فى المرآة .. كانت فى حالة يرثى لها .

وتأملت الفستان الجديد الذى اشترته خصيصًا لكى تلقى به (مجدى) .. كم كانت فرحة به .. وكم تخيلت تأثيره على (مجدى) .. وتصورته وهو يبدى إعجابه به ، أما الآن فهى تبغض ذلك الفستان .. ولن ترتديه بعد اليوم ، لأنه يذكرها بأسوإ يوم فى حياتها .. اليوم الذى فارقها فيه (مجدى) .

ونزعت الثوب عنها وقد جفت العبرات فى عينيها الملتهبتين .. وبينما هى تفعل ذلك تذكرت أنها فى طريقها لكى تفقد عملها بعد عدة أيام قلائل ، وأن سعادتها بعودة (مجدى) كانت قد طغت على حقيقة هذا الوضع الجديد، الذى سيحرمها من مصدر الدخل البسيط ، الذى كانت تحصل عليه من عملها بعد فصلها .

وعادت لتنظر إلى نفسها فى المرآة وقد تملكتها حالة من الحزن والأسى قائلة وكأنها تخاطب نفسها :

ـ كم أنت بائسة أيتها الفتاة المسكينة .. فقد حرمتك الحياة من الأم والأب .. ثم حرمتك من الإنسان الوحيد الذى أحببته .. وبعد عدة أيام ستصبحين بلا عمل .. ودون مصدر للدخل ، وهذا سيجعل خالتك وزوجها يتبرمان بك .. وهما يبديان تبرمهما من الآن برغم المبلغ البسيط الذى تشاركين به فى مصاريف المنزل .

وربما طردوك من المنزل .. فتجدين نفسك فى الشارع .. بلا مأوى وبلا أمان .. محرومة من كل شىء .. تلهث وراء عمل جديد .

وابتسمت لنفسها بمرارة مستطردة :

- وأنت التى كنت تتخيلين منزلًا يضمك مع (مجدى) .. والطريقة التى ستؤثثين بها ذلك المنزل العامر بالحب والأمان .

.الآن ... لم يعد هناك حبٌ ولا أمان .

وكان الحزن قد طغى على مشاعر الفتاة وأنهك أعصابها .. فألقت بنفسها فوق الفراش متهالكة .. وهى تستجدى النوم هربًا من أحزانها وأفكارها ، ولكن هيهات أن يأتى النوم لشخص ما زال قلبه مثخنًا بالجراح .

وحتى فى تلك اللحظات القليلة التى أغفت فيها عيناها ظلت أحزانها تطاردها فى صورة كوابيس وأحلام مزعجة .

ومن بين هذه الكوابيس والأحلام ومتاعب النوم المضطرب ، تبدت لها صورة (نبيل) ، الرجل الذى صارحها بحبه وعرض عليها الزواج دون لحظة تردد واحدة ، ودون أية محاولة لمراجعة النفس أو التأكد من حقيقة مشاعره ، برغم أن الفترة التى عرفها فيها كانت قصيرة ، فى حين تعرف هى (مجدى) منذ وقت طويل ،

وكانت تظن أن العلاقة بينهما وطيدة لأقصى درجة ، وأنه لا يمكن أن تنفصم عراها أبدًا ... فكلاهما يكمل الآخر ... يفهم أفكاره دون أن ينطق بها ، ويحس بأحاسيسه دون أن يعبر عنها .. هكذا كان يقول لها قبل أن يأتى اليوم فيخبرها بأنه غير واثق من حقيقة مشاعره ، ومن أنه يحبها بالقدر الكافى .

لقد تبدى لها وجه (نبيل) وكأنه بصيص من الضوء ينير لها وسط ظلام دامس ، وتذكرت قوله لها : إن الحب لم يعرف طريقه إلى قلبه وحياته إلا منذ أن رآها .

ثم عبارته :

- إن وجدت نفسك فى ضيق ذات يوم فلا تترددى فى اللجوء إلىَّ .

وتساءلت قائلة :

- ترى هل ما زال (نبيل) محتفظًا لى بذلك الحب الذى حدثنى عنه ؟ وهل من الممكن أن يكون عرضه بالزواج ما زال قائمًا بالنسبة لى ؟

وعادت لتطرد هذه الفكرة من رأسها قائلة :

- من يدرى .. ربما كان قد تزوج الآن ؟ فهو لم يتردد على الشركة منذ أربعة أشهر تقريبًا .. وربما قد أصبحت بالنسبة له مجرد ذكرى ، وحتى لو لم يكن قد تزوج .. ما أدرانى أن ذلك الحب الذى حدثنى عنه كان حقيقيًا وأن عرضه الزواج منى كان جديًا ، ربما كان يحاول أن يلهو

ويعبث كما يفعل الآخرون .. وأراد أن يستخدم كلمة الحب والوعد بالزواج كوسيلة لذلك .

ولامت نفسها على هذا التفكير قائلة :

ـ كلا .. (نبيل) ليس كذلك .. فهو مشهود له بالأخلاق العالية ، وتصرفاته معها لم يكن فيها ما يشير إلى أى عبث ، أو يدل على أنه من ذلك النوع الذى يسعى إلى التسلية واللهو ، ولكن لِمَ لا يكون مظهره الجاد هذا وأخلاقه الكريمة،مجرد ستار يخفى بها حقيقته وسوء مقصده .. وأنه يتخذ من هذا المظهر وسيلة لتحقيق أغراض دنيئة .

نعم .. ماالذى يدعوها إلى الثقة به ؟.. بل ماالذى يدعوها إلى الثقة بأى رجل بعد اليوم ؟

ألم تكن تثق بـ (مجدى) ثقتها بنفسها ؟ وهل كان يخطر على بالها قبل اليوم أنه يمكن أن ينكر حبها ويغدر بها على هذا النحو ؟ إذن فما الذى يدعوها لأن تثق بأى شخص آخر .. بعد هذا الزلزال الذى زلزل مشاعرها ؟

وتنبهت لنفسها وهى تتساءل قائلة :

ـ ولكن ما الذى يدعونى إلى التفكير فى (نبيل) منذ البداية ؟ ولماذا طرأ على خواطرى المضطربة الآن ؟

وأجابت نفسها قائلة :

ـ ربما لأنه الوسيلة الوحيدة لإنقاذى مما أنا فيه الآن .. إنه طوق النجاة الوحيد الذى أجده أمامى لينتشلنى من الغرق .

إنسانة مجروحة فى مشاعرها .. بلا موارد تذكر .. وفى طريقها لأن تصبح بلا عمل وبلا مأوى .. بل وبلا مستقبل .

نعم إن (نبيل) هو الإنسان الوحيد الذى يمكن أن ينتشلنى من هذا الضياع ، ولكن بشرط أن يكون حبه لى حقيقيًا .. وذلك الشىء الذى رأيته فى عينيه وهو يحدثنى عن مشاعره ورغبته فى الزواج منى صادقًا ، وأن يكون ما زال محتفظًا به حتى الآن .. وأن يكون أيضًا بلا ارتباطات .

أعتقد أنه لا وسيلة أمامى سوى ذلك .. إننى الآن فى حاجة إلى وجود شخص مثل (نبيل) فى حياتى .

سأحاول الاتصال به .. إنه هو الذى طلب منى ذلك من قبل ، وإذا كان صادقًا فيما قاله وما زال متمسكًا به .. فلماذا لا أتزوجه ، إن جميع الرجال يتساوون بالنسبة لى بعد (مجدى) .. وهذا الرجل به بعض المميزات التى لا يمكن إنكارها .. إنه شخص يمكن الاعتماد عليه ، وأنا أحوج ما أكون فى هذه الفترة لشخص يعتمد عليه .

أما إذا لم تكن نيته سليمة ، أو كان قد غير رأيه بالنسبة لى ، أو تغيرت ظروفه ، فلن أخسر الشىء الكثير .. هل سأشعر بامتهان لكرامتى ؟ وأى امتهان أكثر مما لاقيته اليوم على يد (مجدى) ؟.. وأية خسارة أكبر من خسارتى لحبه ؟

وسرعان ما عادت العبرات لتتجمع فى مقلتيها ثم تنساب

على وجنتيها ، وقد عاودها التفكير فى (مجدى) مرددة :

- (مجدى) .. ليتك ترحل عن فكرى وقلبى بعد أن طردتنى من قلبك ، ليتك تكون رحيمًا بى وتخبرنى عن وسيلة كى أنساك بها .. فمن المؤكد أنك ستظل تطاردنى فى مشاعرى وأحلامى .. وأن الجرح الذى خلفته فى قلبى اليوم ستبقى آثاره لفترة طويلة من الزمن .. الله وحده يعلم إلى متى يمكن أن تمتد ... متى يا (مجدى) ؟.. متى ؟!

★ ★ ★



٤ - القرار الحاسم ..

كان أول شىء فعلته (منى) عندما ذهبت إلى مكتبها فى الشركة فى اليوم التالى ، هو البحث عن رقم تليفون (نبيل حمدى) فى سجل عملاء الشركة ، ولقد عثرت عليه واتصلت به دون أى تردد ، فقد استيقظت اليوم بعد ليلة مؤرقة ولديها إرادة تحدٍ لم تشعرها فى نفسها من قبل .

كانت قد قررت ألا تستلم لأحزانها .. وأن تنفض عنها دور الفتاة اليائسة المصدومة فى عواطفها وحبها .

قررت ألا تسمح لـ (مجدى) ولا لسواه أن يجعلها تنهار ، وأن تصمد لضربات القدر .

وتقلصت عضلات وجهها لتبرز هذا التحدى وهى تضع سماعة التليفون على أذنها .

كانت فرحة (نبيل) حقيقية عندما علم بأن (منى) هى التى تحادثه ، وسألته قائلة فى مرح مصطنع :

- ماذا حدث يا (نبيل) بك .. ألم تعد تتعامل مع شركتنا ؟

أجابها قائلا :

- بصراحة يا (منى) .. أسعار شركتكم فوق طاقتى .. إن لدىّ مكتبًا صغيرًا يدير بعض العمليات التجارية

المحدودة فى السوق ، وشركتكم تعاملنى وكأننى من كبار رجال الأعمال .

(منى) :

- ولكنك بالفعل من كبار رجال الأعمال .

(نبيل) :

- أشكرك على هذه المجاملة الرقيقة .. ولكنى فى الحقيقة وكما تعلمين ما زلت أحبو فى هذا المجال... إننى لا أكاد أغطى مصاريفى .

قالت فى دلال مصطنع :

- حسن .. إذا كنت قد استغنيت عن الشركة .. فهل استغنيت عن موظفيها أيضًا ؟

(نبيل) :

- إننى لا أحب أن أتطفل على أحد .. ولكن هذا لم يمنعنى من تتبع أخبارك .

(منى) :

- أعتقد أن هذا غير صحيح .. لأنك لو كنت تتتبع أخبارى حقًا .. لعلمت أن صاحب هذه الشركة قد قرر الاستغناء عن خدماتى .. وأن عملى هنا سينتهى بعد عدة أيام قلائل .

(نبيل) :

- فى الحقيقة لم يخبرنى أحد بذلك .. لقد علمت أن شركتكم فى سبيلها للاستغناء عن بعض موظفيها .. لكننى لم أتصور أبدًا أنهم سيستغنون عنك من ضمن هؤلاء الموظفين .. فكفاءتك مشهود بها .

(منى) :

- ولكنك تعلم أن الواسطة تسبق الكفاءة .. إن عميلًا هامًا للشركة يريد تعيين إحدى الفتيات فى منصبى ، وبالطبع هذا لا يرد له طلب من رئيس الشركة .

(نبيل) :

- إننى آسف بشأن ذلك .

وترددت قبل أن تقول :

- لقد قلت لى ذات يوم : إذا وجدت نفسك فى ضيق فلا تترددى فى اللجوء إلىَّ .. أما زلت متمسكًا بما قلته ؟

(نبيل) :

- بالطبع .

(منى) :

- إذن هل يمكنك أن تجد لى وظيفة مناسبة ؟

(نبيل) :

- ما رأيك لو حضرتِ إلى مكتبى غدًا .. ربما عثرت لك على الوظيفة التى تناسبك ؟ هل تعرفين العنوان ؟

(منى) :

ـ نعم .. ولكننى أفضل أن نلتقى فى مكان آخر بعيدًا عن مكتبك .. فأنا أشعر بحاجتى إلى التحدث إليك فى مكان بعيد عن العمل ، أعنى فى الهواء الطلق .

صمت (نبيل) لحظة وكأنه يستوعب ما قالته .. ثم قال فى شىء من التردد :

ـ حسن .. يمكننا أن نتناول الغذاء معًا على ظهر إحدى البواخر النيلية لو أردت .

قالت له بجرأة لم يعهدها فيها من قبل :

ـ إذن نلتقى غدًا فى الباخرة (أوزوريس) الساعة الثالثة ظهرًا .

وضعت (منى) سماعة التليفون وهى تسائل نفسها عما إذا كانت قد تصرفت تصرفًا سليمًا أم متهورًا .

لقد بدت وكأنها هى التى تدعو نفسها إلى الخروج معه ومقابلته ، بالرغم من دعوى حاجتها إليه للعثور على وظيفة .. وهى التى كانت تتحدث إليه من قبل بمنتهى التحفظ والالتزام .

ترى ما الذى يمكن أن يقوله عنها الآن ؟

ومطت شفتيها قائلة بلا مبالاة :

ـ فليقل ما يقوله .. لم يعد يهمنى شىء .. وحتى لو

كان قد تراجع عن رغبته فى الارتباط بى .. فعلى الأقل قد يجد لى الوظيفة التى تكفينى شر الحاجة .

كان من الواضح أن صدمة لقائها بـ (مجدى) أمسِ قد غيرت الكثير من تصرفاتها وأفكارها ، بالرغم من أنه لم ينقض على ذلك سوى ليلة واحدة .. لكن روح التحدى التى استيقظت بها اليوم كانت أقوى من أية تحفظات لديها .

ودخلت عليها صديقتها وزميلتها فى العمل (فردوس) التى نظرت إلى وجهها فى دهشة قائلة :

ـ (منى) .. لماذا يبدو وجهك شاحبًا هكذا ؟

قالت متجهمة :

ـ لا شىء .. لقد قضيت ليلة مؤرقة أمسِ .

عادت (فردوس) لتسألها وقد بدت غير مقتنعة بهذه الإجابة :

ـ هل عاد (مجدى) من السفر ؟

(منى) :

ـ نعم .

قالت (فردوس) بلهجة خبيثة :

ـ لهذا إذن تغيبت عن العمل أمس ؟

بقيت (منى) على تجهمها فى حين عادت (فردوس) لتقول :

ـ لقد تقابلتما أمسِ بالطبع .. وكيف حاله ؟

(منى) :
- إنه على ما يرام .
نظرت (فردوس) إلى وجهها بقلق قائلة :
- ولماذا تبدين متجهمة هكذا ؟ هل حدث شىء بينكما ؟
(منى) :
- كلا .. لم يحدث شىء .
(فردوس) :
- ماذا تعنين بأنه لم يحدث شىء ؟.. كان من المفروض أن تكونى الآن فى قمة السعادة .. أليس هذا هو (مجدى) الذى كنت تعدين الأيام والساعات فى انتظار عودته ؟ هل تشاجرتما ؟
ضاقت (منى) بفضول صديقتها وإلحاحها فقالت لها بانفعال :
- (فردوس) .. قلت لك لم يحدث شىء بيننا .. أرجوك دعينى الآن وحدى .
استغربت (فردوس) تصرف صديقتها .. ولكنها استجابت لرغبتها وهمت بمغادرة الغرفة .
فاستوقفتها (منى) قائلة :
- (فردوس) .. أرجوك لا تغضبى منى .. إننى فى حالة غير طبيعية اليوم .. ربما تمكنا من التحدث معًا فى وقت آخر .

(فردوس) :
- أرجو أن تتمكنى من ذلك فى وقت قريب فأنا أشعر ببعض القلق عليك .
أطلقت (منى) زفرة قصيرة وهى تغمض عينيها قائلة :
- اطمئنى .. سيكون كل شىء على ما يرام .
ولما حان موعد الغداء فى اليوم التالى .. توجهت (منى) إلى المطعم النيلى حيث وجدت (نبيل) فى انتظارها .
كان من الواضح أنه سعيد بلقائها .. فقد استقبلها بترحاب شديد ووجهه ينطق بالفرحة لرؤيتها ، وهو يقول :
- اسمحى لى أن أشكرك وأن أشكر رئيسك فى العمل لأنك تكرمتِ بقبول دعوتى المتواضعة .
ابتسمت قائلة :
- حسن .. أفهم أنك تشكرنى على دعوتك برغم أنه من المفروض أن أشكرك أنا لأنك صاحب الدعوة ، ولكننى لا أفهم ماالذى يدعوك إلى توجيه الشكر لرئيسى ؟
ابتسم (نبيل) بدوره ، قائلًا :
- لأنه لولا قراره بالاستغناء عن خدماتك فى العمل ما لجأت إلىَ وما حظيت بمثل هذا اللقاء .

تأملته قليلًا .. كانت ابتسامته صافية ووجهه معبرًا ووسيمًا وموحيًا بالثقة ، وفى الواقع لم يكن به ما يعيبه على الإطلاق ، وما لبثت أن انحدرت بنظراتها إلى أصابعه وهى تبحث عن خاتم يشير إلى خطبة أو زواج .. ولكنها لم تجد فجعلها هذا تطمئن قليلًا ، وقالت له وهى تبدى شيئًا من التحرج :

ـ لا أدرى ما الذى جعلنى أحدثك أمس ؟ ولكننى كنت قلقة بشأن اضطرارى لترك وظيفتى .. وتذكرتُ وعدك لى .. فقررت الاتصال دون تردد .

نظر إليها مليًا وهو يقول :

ـ أشكرك على أنك تذكرتنى .. وعلى ثقتك بى .

قالت وهى ترمقه بنظرة معبرة :

ـ إنك شخص يوحى دائمًا بالثقة .

(نبيل) :

ـ أشكرك مرة ثانية .

ثم صمت قليلًا قبل أن يقول :

ـ ما رأيك لو عملتِ معى ؟

بدا عليها شىء من الحرج والتردد .. فاستطرد ، قائلًا :

ـ لو لم يكن هذا مبعثًا لأى حرج بالنسبة لك . ودون أن تظنى أننى أحاول أن أستغل الفرصة وأفرض نفسى عليك من جديد بوسيلة أو بأخرى .

قالت وهى تحاول أن تنفى عن نفسها هذا التفكير :

ـ بالعكس .. إننى أعتقد أنك تحاول مساعدتى على حساب نفسك ، فأنا أعرف إمكاناتك جيدًا من خلال معاملاتك السابقة مع الشركة .. ولا تعتقد أننى أقلل من شأنك .. ولكن أنت بنفسك اعترفت بأن مكتبك يعانى بعض المشاكل المالية .. ولديك شخصان يعونانك فى العمل ، تعتمد عليهما ، ويعتمدان على الراتب الذى يحصلان عليه من العمل فى مكتبك .. وهما كافيان تمامًا للقيام بأعمال المكتب ، إذن فعندما تفكر فى تعيينى فى العمل معك بعد أن شرحت لك ظروفى ، فهذا يعنى إما التخلى عن أحد هذين الشخصين لكى أحل محله وهذا ما لا أرضاه ولا أقبله ، وإما أن تضيف لأعبائك المادية عبء راتب إضافى تدفعه لى فى مقابل عمل لست بحاجة إليه .. وهذا أيضًا لا أرضاه ولا أقبله .

لقد حادثتك ، أملًا فى أن تجد لى وظيفة لدى إحدى الشركات التى يمكن أن تكون لك بعض الصلات أو العلاقات بأصحابها أو بعض المسئولين فيها .

ابتسم لها ، قائلًا :

ـ فى الحقيقة أنا لم أكن أنوى أن أدفع لك راتبًا هباء بالطبع .. فأنا أعرف مقدار كفاءتكِ وأثق بأننى سأستفيد

من جهودك ، كما أننى برغم وجود بعض المتاعب المادية .. فأنا ما زلت أحقق بعض الربح من إدارة هذا المكتب التجارى بما يقينى شر الإفلاس ، ولن أكون مضطرًا للتخلى عن أحد من العاملين لدىّ ، ولكن إذا كنت مصممة على العمل فى جهة أخرى .. فيمكن أن أدبر لك الأمر خلال يومين أو ثلاثة على الأكثر .

إننى أعرف بعض الأشخاص ممن يسعدهم أن تعمل معهم فتاة لها كفاءتك ونشاطك .

ونظر إلى الطعام الذى أخذ الجرسون يضعه أمامهم على المائدة ، ثم تطلع إليها ، قائلًا :

- والآن .. تفضلى بتناول طعامك أولًا .

ولكنها لم تأكل بل أخذت ترقبه وهو يتناول طعامه وهى تقول لنفسها :

- ياله من شخص مهذب .. إنه يتحدث باستمرار عن كفاءتى ونشاطى وحاجة الآخرين إلىّ ، دون أن يشير مطلقًا إلى حاجتى أنا إلى الحصول على هذا العمل ، وإلى الظروف التى اضطرتنى إلى اللجوء إليه ، حرصًا على مشاعرى ، وحتى لا يظهر أمامى بمظهر الشخص الذى يقدم لى خدمة أو مساعدة .. أعتقد أنه يحمل بعض صفات اسمه .

وعاد لينظر إليها ، قائلًا :

- ألا يعجبك الطعام ؟

قالت له :

- كلا مطلقًا .. الأكل ممتاز .

(نبيل) :

- إذن .. لماذا لا أراك تأكلين ؟

تناولت الشوكة والسكين لتقطع بها قطعة اللحم الموضوعة أمامها قائلة :

- إننى آكل ولكن ببطء .

وفى تلك اللحظة حانت منه التفاتة إلى أصابعها ورآته يمعن النظر فيها فشعرت بشىء من الحرج وهى تتناول طعامها مما جعل الطعام يتوقف فى حلقها فأسرعت بتناول بعض الماء .

ثم تطلعت إليه بدهشة قائلة :

- أنت الآن الذى توقفت عن تناول طعامك ..

نظر إليها ، قائلًا :

- ماذا حدث بشأن خطيبك .. إننى لا أرى دبلة الخطوبة فى أصبعك ؟

غمغمت وهى تغمض عينيها قائلة :

- لقد فسخت الخطبة .

نظر إليها بدهشة ، قائلًا :

- كيف .. لقد أخبرتى أن بينكما قصة حب قوية تربط بينكما ؟

قالت وقد عجزت عن استكمال طعامها :

- أرجوك .. إننى لا أريد أن أتحدث فى هذا الأمر .

نظر إليها مليًا .. وهو يقول :

- من الواضح .. أن هذا ترك أثرًا سيئًا فى نفسك .

وربت على يدها برفق ، قائلًا :

- إننى أقدر مشاعرك .. ويمكنك أن تطمئننى إلى أننى لن أحادثك فى هذا الأمر مرة أخرى ما دمت لا تريدين ذلك ..

وأرسل الحديث إلى نواح أخرى بعيدًا عن (مجدى) والخطبة .. وعمد إلى ملاطفتها واختلاس الضحكات منها .

وحادثته قائلة وهى تحاول الاقتراب من هدفها :

- إننى لا أرى بدورى ما يشير إلى خطبة أو زواج فى أصابعك .. ألم تجد الفتاة المناسبة بعد ، أم أنك تخفى أمرها سرًا ؟

نظر إلى عينيها مباشرة وهو يقول :

- قلبى لم يحب سوى فتاة واحدة فقط .. وإن كنت قد أخفيت اسمها وحقيقة مشاعرى نحوها عن الآخرين .. فأنت الوحيدة التى تعرفينها جيدًا .

وبرغم أن هذا هو ما أرادت أن تسمعه منه ، إلا أنها ارتبكت .. ووجدت نفسها تهب واقفة .. وهى تقول :

- أعتقد أنه يتعين علينا أن ننصرف الآن .

نظر إليها ، قائلًا :

- أرجوك يا (منى) .. اجلسى ..

عادت للجلوس مرة أخرى وهى مضطربة .. فقد أحست فى هذه اللحظة بأنها ليست الفتاة التى تصلح لاصطياد مشاعر الآخرين .

قال لها وهو ما زال يحدق فى وجهها :

- أرجو ألا تعتقدى للحظة واحدة .. أننى أحاول استغلال الظروف ، ولكن إذا كان الأمر قد انتهى بينك وبين خطيبك .. وإذا كان ارتباطك السابق هو الذى كان يحول بيننا .. فهل أستطيع أن أسألك مرة أخرى عما إذا كنت تقبليننى زوجًا لك ؟

ازدادت ارتباكًا .. وقد نكست رأسها صامتة .

وعاد (نبيل) ليقول :

- (منى) لقد حاولت كثيرًا أن أنساك ، ولكننى لم أستطع .. أنت الإنسانة الوحيدة التى تفتح قلبى لحبها .. ولم يشغل تفكيرى أحد سواك .

ليتك تفكرين فى الأمر .. خاصة بعد أن أصبحت غير

مرتبطة بإنسان اخر .

نظرت إليه من خلال دموعها وهى ما زالت صامتة .

ان هذا هو ما أرادته .. وما استقر عليه تفكيرها منذ يومين ، فقد وجدت نفسها وحيدة فى هذه الدنيا بعد أن تخلى عنها حبيبها ، وهى فى طريقها لكى تفقد عملها ، والمستقبل أمامها غامض ومجهول ، كانت بحاجة ماسة لمن يأخذ بيدها وينتشلها من هذا الضياع المادى والعاطفى .

ولكنها الآن عندما أسمعها (نبيل) ما أرادت أن تسمعه منه أدركت كم هو صعب هذا الاختيار .

ان إعلانها الموافقة على الزواج من (نبيل) يعنى أن الأمر قد انتهى تمامًا بالنسبة لـ (مجدى) ، وأنه لن يكون لديها حتى الحق فى أن تأمل فى أن يعودا لبعضهما مرة أخرى .. وكم هو مؤلم أن تضع بنفسها نهاية حلمها ، وعادت لتغمض عينيها قائلة لنفسها :

- لماذا هذا التردد المقيت يا (منى) ؟.. لقد قررت أنت بنفسك أن هذا الحلم قد انتهى .

عليك الآن أن تكونى واقعية مع نفسك ومع ظروفك .

إنها لم تحب (نبيل) برغم تقديرها له وإعجابها بشخصيته .. لم تحبه من قبل وربما لن تحبه فيما بعد .. لكنه الرجل الوحيد الذى يمكنه أن يساعدها الآن وينتشلها

من هذا التردد العاطفى ، الذى لن تجنى من ورائه سوى المزيد من العذاب والندم ، والرجل الوحيد الذى يستطيع أن يوفر لها حياة آمنة تجنبها ذلك المستقبل المجهول الذى ينتظرها .. ليس لظروفه المادية الجيدة فقط .. ولكن أيضًا - وهذا هو الأهم - لما تراه من حبه الشديد لها وتعلقه بها .. برغم رفضها له من قبل .

إنه الرجل الوحيد الذى تستطيع أن تعتمد عليه ، والذى تنبئها شخصيته بأنه لن يخذلها كما خذلها (مجدى) .

وتنبهت على يد (نبيل) وهو يضعها على يدها برفق قائلًا بصوت يفيض حبًا وحنانًا .

- إننى لن أطلب منك ردًا الآن .. خذى الوقت الكافى فى التفكير .. ولكن ثقى بأنه أيًا كان قرارك فلن أتخلى عن مساعدتك والوقوف إلى جوارك .

واستمرت (منى) محتفظة بصمتها وهى لا تعرف بماذا تجيبه .

ولما لاحظ (نبيل) ملامح القلق البادية على وجهها سألها ، قائلًا :

- هل تحبين أن ننصرف ؟

أومأت له برأسها دلالة على الموافقة .. فهب واقفًا ثم اقترب من مقعدها ليزيحه كى يساعدها على النهوض ،

ولكنها لم تتحرك من مكانها .. بل نكست رأسها وهى تنظر إلى المائدة قائلة :

- إننى موافقة .

وبرغم أن (نبيل) سمع ما قالته إلا أنه لم يصدق أذنيه فسألها قائلا ، وكأنه يريد أن يتأكد مما سمعه :

- ماذا قلتِ ؟

قالت له وهى تضغط على الكلمات التى تخرج من بين شفتيها ، وكأنها تريد أن تحسم الأمر :

- قلت إننى موافقة على الزواج منك .

كانت تعرف أنها لو أخذت مزيدًا من الوقت للتفكير .. فقد يعاودها ذلك التردد الأحمق .. وربما طرحت الفكرة من أساسها من رأسها مستسلمة لمشاعر عاطفية غبية ، لن تجنى من ورائها سوى المزيد من الضياع ؛ لذا أرادت أن تكون حاسمة وألا تنتظر أكثر من هذا .. فأعلنت موافقتها .

وتهلل وجه (نبيل) من شدة الفرح .. لقد عاد ليتهاوى فوق مقعده وعيناه تنطقان بالسعادة .. وكأنه قد نال أملا طالما تمناه ، وقال لها بصوت متهدج من شدة السعادة :

- إننى لا أصدق نفسى .. هل قبلت الزواج منى حقًا ؟ أن هذا أسعد يوم فى حياتى .

وتناول يدها بين يديه قائلا :

- تأكدى أننى سأبذل أقصى ما أستطيع لإسعادك .

ثم انحنى على يديها ليقبلهما ، ونظرت إليه (منى) بعينين دامعتين .. وقد تملكها إحساس شديد بالذنب ، فكم تتمنى لو أنها استطاعت أن تبادله مثل هذا الحب الكبير الذى يكنه لها ، ولكنها مع الأسف أعجز من ذلك .. وعذرها الوحيد أن هذا أمر لا تملكه ، إنها تستطيع أن تقدم نفسها له زوجة .. ولكنها لا تملك قلبها لكى تمنحه له .

لا تملكه أبدًا .

★ ★ ★



٥ - هاربة من الحب ..

جمعت (منى) أوراقها من درج مكتبها بعد أن تقدمت باستقالتها من عملها فى الشركة ، وما لبثت أن دخلت عليها (فردوس) حجرتها قائلة :

- (منى) .. هل ما سمعناه صحيح ، أنك استقلت من العمل ؟

قالت لها (منى) :

- نعم .. حمدًا لله على أنك جئت ، فقد كنت أنوى التوجه إلى غرفتك لتوديعك أنت وبقية الزميلات والزملاء .

(فردوس) :

- ولكن ما زال أمامك أسبوعان كاملان .. على الأقل حتى تحصلى على راتب كامل من الشركة قبل أن تتركيها ، فلِمَ هذا التسرع .

قالت لها (منى) بهدوء :

- إننى سأتزوج خلال هذا الأسبوع .

حدقت فيها (فردوس) بدهشة قائلة :

- تتزوجين .. يالها من مفاجأة .

وأردفت قائلة فى خبث :

- أخيرًا ستتزوجين من حبيب القلب . وتخفين الأمر على صديقتك بهذه الطريقة الماكرة .. مع أن الذى يراك منذ ثلاثة أيام كان يظن أن هناك خلافًا كبيرًا بينك وبين (مجدى) .. ولكن ..

قاطعتها (منى) ، وقد اعترتها حالة من الوجوم والاضطراب :

- لن أتزوج (مجدى) .

فغرت (فردوس) فاها إزاء هذه المفاجأة .. وظلت صامتة لبرهة من الوقت .. قبل أن تتمالك نفسها من أثر المفاجأة .. قائلة :

- هل هذا معقول ؟ أتتزوجين من شخص آخر غير (مجدى) .. بعد كل هذا الحب الذى جمع بينكما .. وبعد انتظار السنين ؟

قالت (منى) وهى تغمض عينيها :

- لقد انتهى كل ما كان بيننا .

قالت (فردوس) وهى ما زالت غير مصدقة :

- كيف ؟

(منى) :

- الحب الذى تتحدثين عنه ، وانتظار السنين لم يكن يعنى شيئًا بالنسبة لـ (مجدى) .. لقد عاد من السفر ليخبرنى

بأنه غير متأكد من مشاعره نحوى ، وغير واثق من نجاح ارتباطنا ببعض ..

فجأة وجدت (مجدى) الذى أحببته بكل مشاعرى ووجدانى يتملص من حبه لى ، ينكر كل مشاعرنا .

قالت لها (فردوس) بتعاطف حقيقى :

- يالك من مسكينة .. لابد أن الأمر كان بمثابة صدمة قاسية لك .

ابتسمت (منى) فى مرارة ، قائلة :

- لقد وجدت نفسى فجأة وقد انهار كل شىء حولى .. دون أن أفهم لماذا حدث ذلك ؟ ودون أى ذنب ارتكبته .

احتضنتها صديقتها قائلة :

- الآن فهمت سر الحالة الغريبة التى كنت تبدين عليها بعد عودة (مجدى) من السفر .

لم أكن أظن أن (مجدى) يمكن أن يفعل ذلك .. لقد خدعت فى هذا الإنسان ، وكنت أظن نفسى خبيرة بمعادن الرجال .

على كل حال إذا كان هذا هو تصرفه حيالك .. فهذا الشخص لا يستحقك ، والحمد لله على أنك عرفته على حقيقته .

(منى) :

- ولكنه ترك فى قلبى جرحًا لا أعرف متى سيندمل .

(فردوس) :

- أن كل الجروح تندمل فى النهاية وسيأتى يوم ستنسينه فيه .

(منى) :

- أن هذا هو ما أدعو به الله ليل نهار .. أن يساعدنى على نسيانه .

(فردوس) :

- ولكن ممن ستتزوجين إذن ؟

(منى) :

- سأتزوج (نبيل حمدى) .

نظرت إليها (فردوس) مدققة وهى تقول :

- (نبيل حمدى) .. ومن هو (نبيل حمدى) ؟ هل أعرفه ؟

(منى) :

- نعم .. إنه أحد عملاء الشركة .

(فردوس) :

- آه تذكرته .. ذلك الرجل الذى كان مدلها فى حبك ، وتعتريه حالة من الاضطراب والارتباك كلما جاء إلى الشركة ووقعت عيناه عليك .

(منى) :

- نعم .. إنه هو .

(فردوس) :

- ولكن متى حدث هذا ؟ أعنى ما الذى جمع بينكما ؟ وما سر هذا الزواج السريع الذى تنويان إتمامه ؟

وفجأة توقفت (فردوس) عن الحديث وكأنها قد تنبهت إلى شىء .. ثم نظرت إلى صديقتها نظرة حذرة ، قائلة :

- (منى) .. أخشى أنه ..

قاطعتها (منى) وهى تكمل :

- نعم إنه طوق النجاه بالنسبة لى فى مثل هذه الظروف التى أمر بها .

(فردوس) :

- ولكن ما ذنب هذا المسكين ؟

(منى) :

- إننى أعرف أننى لا أحبه .. ولكنى أشعر نحوه بشىء من التقدير والاحترام ، وأنا لم أقل له إننى أحبه .. وأعتقد أنه يدرك ذلك .

لقد طلب منى أن أتزوجه فوافقت .

(فردوس) :

- إننى لست من أنصار الزواج القائم على العاطفة ..

بل أحبذ دائمًا الاعتماد على العقل فى هذا الشأن ، ولكن بالنسبة لك إننى .. وأنت صديقتى التى أعرفك جيدًا.. أعرف كم أنت عاطفية ورومانسية المشاعر .. كما أعرف مقدار الحب الذى كنت تحملينه .. والذى أثق بأنك ما زلت تحملينه لـ (مجدى) ، فإننى لا أحبذ الاندفاع فى زواج كهذا .

(منى) :

- اطمئنى إننى لم أعد تلك الفتاة الرومانسية التى تعرفينها .. لقد خلعت عن نفسى ثوب الرومانسية منذ أنكر (مجدى) حبنا ، والدليل على ذلك أننى تصرفت بطريقة عملية ، واخترت الرجل المناسب الذى يعوضنى بحبه عن غدر من أحببته .. ويقينى شر الحاجة واستجداء وظيفة رخيصة براتب ضعيف .. وكان اختيارى سريعًا وحاسمًا .

(فردوس) :

- لا تخدعى نفسك يا (منى) .. إنك ما زلت تحت تأثير الصدمة العاطفية التى تلقيتها .. ولن تستطيعى أن تتخلى عن طبيعتك بين يوم وليلة .

إننى أخشى أن يكون (نبيل) هذا محاولة فاشلة للنسيان ، أو مخدر تفيقين بعده على مشاعر الحسرة والندم .

لو أردت فإنه يمكننى أن أتدخل بينك وبين (مجدى)

وأحاول أن أصلح الأمور بينكما .

قاطعتها (منى) بحدة :

- كلا .

ثم هدأت نبرتها قليلًا وهى تستطرد :

- الحب لا يُستجدى .. إنك تستطيعين أن تدخلى بين شخصين متحابين إذا اختلفا فى أمر ما ، أو ثارت بينهما مشكلة ، ولكنك لا تستطيعين أن تطالبى أحدهما بأن يحاول مرة أخرى أن يبادل الآخر عاطفته التى يتشكك فى وجودها .

لقد حسم الأمر وسأتزوج (نبيل) .

(فردوس) :

- فليكن .. ولكن ألا تريدين أن تتروى قليلًا قبل الإقدام على هذا الزواج ؟

قالت لها (منى) وقد انسابت عبرة فوق إحدى وجنتيها :

- يجب أن أبادر بهذا الزواج سريعًا قبل أن أضعف وأتراجع سعيًا وراء وهم كاذب .

(فردوس) :

- حسن .. من يدرى .. ربما كان هذا الزواج من شخص مثل (نبيل حمدى) هو الوسيلة الوحيدة لإنقاذك

من متاعب عاطفية قاسية تنتظرك ، وربما أحببته وعشت معه حياة سعيدة تنسيك تلك الصدمة التى تلقيتها .

ولكنك ستدعونى إلى حفل زواجك .. أليس كذلك ؟

(منى) :

- بالطبع .. لن يكون حفل زواج بالمعنى المعروف .. ولكن سيكون حفلًا صغيرًا يقتصر على أقاربه وخالتى وأسرتها .. لقد كان (نبيل) يريده حفلًا كبيرًا ، ولكنى طلبت منه أن يكون بسيطًا وأسريًا .. فقد لا أستطيع أن أبدو فى صورة العروس السعيدة المبتهجة .. ولا أريد لحشد كبير من الناس أن يرى ذلك .. لا أريد هذا قط ..

★ ★ ★

اصطحبها (نبيل) فى اليوم التالى إلى الشقة التى أعدها مسكنًا للزوجية هى وخالتها .

كانت شقة كبيرة مكونة من أربع غرف وردهة كبيرة وحمامين ، وتقع فى منطقة هادئة .. أعجبت بها (منى) كثيرًا .. فهى لم تكن تطمح فى شقة كهذه ، وهى التى اعتادت السكن وسط أسرة كبيرة فى شقة تحتوى على ثلاث غرف فقط ، تشاركها إحداها اثنتان من بنات خالتها ، ولو أنها كان يمكنها أن ترضى بأقل من ذلك .. بل كانت مستعدة لأن تقبل الحياة فى غرفة على السطح لو كان (مجدى) هو الذى يشاركها فيها .

وتنبهت من أفكارها التى قادتها إلى (مجدى) مرة أخرى على صوت (نبيل) وهو يهمس قائلا :

- هل أعجبتك الشقة ؟

رسمت على وجهها ابتسامة قائلة :

- إنها جميلة للغاية .

(نبيل) :

- إذا لم تكن قد أعجبتك حقيقة يمكننى أن أبحث لك عن شقة أخرى أكثر اتساعًا وأكثر ملاءمة .

(منى) :

- هذه الشقة ملائمة جدًا وهى فسيحة للغاية .

(نبيل) :

- أتريدين إدخال أى تعديل على الأثاث ؟

(منى) :

- ألم نختره معًا ؟

(نبيل) :

- نعم .. ولكن إذا كنت قد وجدت شيئًا أكثر جاذبية بالنسبة لك فإننى مستعد لشرائه .

ابتسمت له فى امتنان ، وقد أحست بمدى حرصه على إرضائها وتحقيق مطالبها قائلة :

- أعتقد أننى قد أرهقت ميزانيتك بما يكفى .

(نبيل) :

- لا تهتمى لذلك .. إننى ما زلت أحتفظ ببعض النقود فى البنك ومستعد لتلبية كل طلباتك .

ضحكت قائلة :

- أظننت أننى وافقت على الزواج منك لكى أبتزك ؟

قال وعيناه تفيضان حنانًا :

- إن كل ما أملكه هو ملكك الآن يا حبيبتى .

سألته قائلة :

- أستبقى محتفظًا بحبك لى هكذا بعد فترة من الزواج ؟

(نبيل) :

- مادام قلبى سيبقى قائمًا بين ضلوعى .. فأنا أعدك أن حبك سيبقى ساكنًا فيه .

أحست (منى) بالذنب لدى سماعها لهذا القول .. فلو أن ما قاله ظل حقيقيًا وعجزت عن أن تبادله عاطفته القوية هذه ، فإنها ستكون بلا شك إنسانة جاحدة ، وحاولت أن تهرب من ذلك الإحساس بالذنب قائلة بلهجة مرحة :

- وماذا فعلت لى بخصوص العمل ؟

قال (نبيل) بجدية :

- ألم نتفق على أنك لن تعودى بحاجة إليه بعد أن نتزوج ؟

(منى) :

ـ ربما أسأم من البقاء فى المنزل بمفردى طوال النهار ، خاصة وأن لديك ما يشغلك .

(نبيل) :

ـ لن يمر وقت طويل حتى ترزقين بأطفال يجنبونك هذا الملل . واضطربت (منى) لدى سماعها لكلمة الأطفال هذه .. وكأنها قد تنبهت لشىء لم تضعه فى حسبانها .

فقالت له :

ـ (نبيل) .. دعنا لا نتعجل إنجاب الأطفال .

نظر إليها بدهشة ، قائلا :

ـ لماذا ؟

(منى) :

ـ لنمنح أنفسنا فرصة للاستمتاع بالحياة أولا .

(نبيل) :

ـ الأولاد هم بهجة الحياة .

لم تجد (منى) ما تقوله .. بل لم تجد ما يبرر عدم رغبتها فى إنجاب أطفال من (نبيل) ، فاكتفت بهز كتفيها دون أن تقول شيئا ، وأوصلها (نبيل) هى وخالتها حتى باب منزلهما .. ثم استوقفها منفردا بها قبل أن تصعد إلى شقة خالتها ، قائلا :

ـ أعتقد أننا متفقان على كل شىء وجاهزان الآن لإتمام الزواج فى نهاية الأسبوع .

أومأت برأسها دون أن تقول شيئا ، وتناول (نبيل) يدها ليقبلها ، قائلا :

ـ فى نهاية هذا الأسبوع .. سأكون أسعد رجل فى العالم ، ثم حياها وانصرف .

ووقفت تراقبه وهو يبتعد عنها وقد عادت هواجس الخوف لتهاجمها .

فى نهاية هذا الأسبوع سيكون قد تحدد كل شىء .. ستكون قد تزوجت من رجل لا تحبه هربا من رجل أحبته وغدر بها .. وهربا من حياة بائسة كانت تنتظرها .

ولكن أسيكون فى زواجها من (نبيل) نهاية لبؤسها حقا .؟ أم أنه سينتظرها عذاب من نوع آخر ؟..

إنها لا تدرى .

لا تدرى قط .

* * *

٦ ـ لقاء مفاجئ ..

كانت (منى) فى طريقها لشراء بعض لوازم الزفاف، حينما أوقفها صوت أحد الأشخاص وهو يناديها باسمها، والتفتت (مني) وراءها .. لتجد شخصًا كانت تعرفه .. إنه أحد أصدقاء (مجدى) .. لقد كان أحد الأشخاص القلائل الذين حضروا خطبتها لـ(مجدى)، ويعرف الكثير عن علاقتهما، ولقد مد لها يده مصافحًا وهو يقول:

ـ مصادفة سعيدة يا آنسة (منى) .

صافحته فى تردد قائلة :

ـ أهلًا يا أستاذ (فتحى) .

ابتسم قائلًا :

ـ أرجو أن تتقبلى تهنئتى .

اندهشت (منى) وهى تتساءل فى نفسها ، قائلة :

ـ تهنئه .. وكيف تسنى له أن يعرف بأمر زواجى المقبل من (نبيل) ؟ ولم تجد ما تجيبه به سوى أن تشكره .. ولكنه عاد ليقول :

ـ بالطبع .. الثروة الكبيرة التى آلت إلى (مجدى) ستعجل بإتمام زواجكما وتؤمن لكما عيشة رغدة .. لقد

جاءت فى الوقت المناسب وأنا سعيد من أجلكما .

حدقت فى وجهه قائلة :

ـ الثروة .. أية ثروة ؟

قال وهو مندهش لدهشتها :

ـ الثروة التى ورثها (مجدى) من عمه .. لا تتظاهرى بعدم معرفتك لذلك .. فالجميع يعرفون بأمر الثروة التى انتقلت إلى (مجدى) بعد وفاة عمه ، والبعض يقدرها بمئات الآلاف .

واستطرد قائلًا:

ـ أظن أنه لم تعد توجد الآن مشكلة بشأن عقد القران .. فهذه الثروة ستحل جميع مشاكلكما .

بالمناسبة هل حددتما موعد الزفاف ؟

ولكن (منى) لم تجبه بل تراجعت إلى الخلف عدة خطوات وهى تكاد أن تترنح فى خطواتها .

ثم ما لبثت أن اندفعت تركض بعيدًا عنه .

ورث عن عمه ثروة تقدر بمئات الآلاف ..

إذن هكذا تتضح الأمور ؛ لقد أصبح (مجدى) من الأثرياء .. وهى فى وضعه الجديد لم تعد تناسبه كزوجة ، لذا هجرها متعللًا بعدم تأكده من حبه لها ، ليبحث لنفسه عن زوجة أخرى تليق بمكانته الجديدة.

هكذا تتجلى الحقيقة .

لقد كانت تناسبه كزوجة عندما كان فقيرًا معدمًا ، أما الآن وبعد أن هبطت عليه تلك الثروة فقد تغير فكره ومشاعره نحوها .. ففكر وقرر أن يتخلص من ارتباطه بها .

وأخذت تردد بينها وبين نفسها ، قائلة :

ـ ياله من نذل .. خسيس .. خائن !

أيمكن أن يغير المال صاحبه هكذا ؟.. أكان يمكنها أن تتصور منذ عدة سنوات مضت ، أن (مجدى) يمكنه أن يضحى بحبهما ، وأن يتبدل على هذا النحو بسبب الثراء المفاجئ ، وهما اللذان كان يحلمان بمبلغ بسيط يمكنهما من إتمام زواجهما ، وتحقيق حلمهما ؟

إن ما سمعته اليوم .. بمثابة صدمة جديدة تلقتها فى الشخص الذى أحبته بكل جوارحها .

وتوقفت لدى أحد أعمدة النور وهى تستند إليه خوفًا من السقوط على الأرض .

الآن يتعين عليها أن تكره (مجدى) ، وأن تطرده من حياتها بعد أن تأكدت من حقيقة غدره ، ولكن .. لا .. إنها لا تستطيع ..

نعم من الغريب أنه حتى فى هذه اللحظة التى عرفت فيها أن (مجدى) قد ازدراها وأخرجها من حياته وتخلى عن حبه لها . بعد أن أصبح ثريًا لا تستطيع أن تكرهه .. بل هى واثقة بأنها ما زالت تحبه .

وتساءلت فى حيرة وغضب من نفسها .. كيف تحب من لفظها من حياته ؟ ولا يمكنها أن تحب إنسانًا أحبها بكل جوارحه .. وبقى متمسكًا بها وبرغبته فى الارتباط بها ؟ إنسان منحها اسمه والأمان الذى تبغيه دون تردد ودون تفكير .. وآخر تبدلت مشاعره نحوها من أجل حفنة من المال ، فعاد ليتهرب منها بحجة أنه غير واثق من عاطفته نحوها ، بعد سنوات من الحب الذى كان يتشدق به ليلًا ونهارًا ، ومع ذلك فإن قلبها مع ذلك الآخر .. مع الحبيب الغادر . وكم للقلوب من أهواء غريبة يحار العقل فى فهمها .. يحار تمامًا .

★ ★ ★

مرت إجراءات الزواج فى يسر وسهولة .. وتنبهت (منى) مما يدور حولها وهى شاردة على صوت زوج خالتها الذى وكلته فى زواجها ، وهو يغادر المقعد المواجه للمأذون ليتجه نحوها ، والابتسامة على وجهه قائلًا :

ـ مبروك يا (منى) .

وانطلقت الزغاريد حولها .. بدأتها خالتها وشاركتها فيها صديقتها (فردوس) ، ورأت (منى) المأذون وهو يصافح (نبيل) قبل انصرافه ، ومعالم الفرحة تبدو فيما يدور حولها .

وتساءلت قائلة لنفسها :

- هل أصبحت الآن زوجة ؟.. زوجة لشخص آخر غير (مجدى) ؟!

إذن فقد انتهى كل شىء .

لقد أصبحتُ زوجة لهذا الشخص الواقف أمامى ، والذى لم يدر بخلدى مطلقًا أن أكون زوجته فى يوم من الأيام .. ويتعين علىّ أن أتعامل مع حياتى المقبلة على هذا الأساس .

ولكنها أغمضت عينيها فى أسى ، قائلة :

- أحقًا .. انتهى كل شىء بالنسبة لى و لـ (مجدى) ؟

واقتربت منها صديقتها (فردوس) لتهمس فى أذنها وهى تراقب الجميع حولها :

- ما هذا يا (منى) ؟ أهذا مظهر لعروس انعقد قرانها منذ لحظات ؟ إنك بذلك ستلفتين إليك الأنظار

ردت عليها (منى) قائلة :

- إننى لا أدرى أخير هذا أم شر ذلك الذى فعلته بنفسى ؟

(فردوس) :

- لقد فكرتِ ثم قررت قبل أن تقدمى على ما فعلته .. وأنت بنفسك التى قلتِ إن زواجك من (نبيل) هو الخيار الأفضل فى ظل الظروف التى تمرين بها .. أليس كذلك ؟

(منى) :

- نعم ... ولكن الآن وبعد أن تحول التفكير والقرار إلى تنفيذ وانعقد عقد الزواج .. أشعر بعدم القدرة على الحكم على سلامة قرارتى ، وتملؤنى العديد من الهواجس .

(فردوس) :

- أيا كان الأمر فقد أصبحت الآن زوجة .. ويتعين عليك ألا تفكرى فى أى شىء سوى زوجك .. وحياتك المقبلة معه .

وأردفت قائلة وهى تنظر إلى (نبيل) الذى كان قادمًا نحوهما وابتسامة الفرحة بادية على وجهه :

- هاهو ذا زوجك قادم نحونا .. حاولى أن تنزعى قناع التجهم هذا عن وجهك ، وارسمى ابتسامة على شفتيك حتى لا يشعر بشىء .

جاهدت (منى) لكى ترسم ابتسامة مصطنعة على وجهها حينما اقترب (نبيل) منها قائلًا بصوت هامس ينطق بالسعادة :

- مبروك يا (منى) .. لقد أصبحنا الآن زوجين .

وقالت له (فردوس) وهى تستعد لتركهما بمفردهما :

- لقد جئت لكى أقرص العروس فى ركبتها .. اعتنِ بها جيدًا فهى من أعز صديقاتى .

وانصرفت بعيدًا عنهما فى حين تناول (نبيل) يدى (منى) بين يديه قائلًا :

- أتوصينى صديقتك بنفسى ؟!

ظلت (منى) محتفظة بتلك الابتسامة الصامتة على وجهها دون أن تقول شيئًا .

وسألها (نبيل) ، قائلًا :

- ألست سعيدة ؟

قالت محاولة التغلب على صمتها :

- بالطبع .. إننى سعيدة للغاية .

(نبيل) :

- ما رأيك .. لو تسللنا من هذا الحفل دون أن يشعر بنا المدعوون لنسافر معًا ؟

(منى) :

- نسافر .

(نبيل) :

- نعم هل نسيت أننا سنقضى أسبوعًا فى (الإسكندرية) ؟.. كنت أتمنى لو كان شهرًا .. ليكون شهر عسل حقيقيًا .. ولكن ظروف عملى تحول دون ذلك .

(منى) :

- لقد اتفقنا على السفر صباح الغد .. أليس كذلك ؟

(نبيل) :

- نعم .. ولكن لا أطيق الانتظار لكى أنفرد بك .. أشعر أن لدى الكثير لكى أقوله لك ولكنى عاجز عن التعبير عنه وسط أولئك المدعوين .

(منى) :

- الأيام ما زالت أمامنا قادمة .

(نبيل) :

- لقد ضاع من عمرى الكثير يا (منى) قبل أن أراك .

(منى)

لم أكن أعتقد أنك رومانسى هكذا .. بالرغم من أنك من رجال الأعمال .

ضحك قائلًا :

- لا تنسى أننى فى البداية .. وهل تظنين أن رجال الأعمال بلا قلوب ؟

(منى) :

- كلا .. ولكن من يراك وأنت تحضر إلى الشركة لعقد بعض الاتفاقيات التجارية ، ومراوغتك لرئيس الشركة ، وتلك الجدية والصرامة المرتسمة على وجهك ، لا يعتقد أنك عاطفى هكذا .

(نبيل) :

- لقد كانت حياتى شاقة بعض الشىء يا (منى) .. لذلك فقد كنت أختزن عواطفى دائمًا بداخلى .. حتى رأيتك فتفجرت مشاعرى نحوك .

(منى) :

- أتحبنى حقًا كل هذا الحب ؟

(نبيل) :

- ستثبت لك الأيام مقدار حبى .

وقام أحد المدعوين بعزف قطعة موسيقية ناعمة فى حين هتف آخر ، قائلًا :

- أين العريس والعروس ؟ لماذا لا يدعوهم أحدكم للرقص ؟

وابتسم لها (نبيل) قائلًا :

- أتسمح لى العروس بهذه الرقصة ؟

مدت له يدها فتناولها فى إحدى يديه ، فى حين وضع يده الأخرى حول خصرها ، وأخذا يرقصان وسط ابتسامات وتصفيق المدعوين والمدعوات .

وبينما كان يدور بها راقصًا كانت (منى) تغمض عينيها بين الحين والآخر وهى تتخيل أن (مجدى) هو الذى يراقصها ، وبرغم شعورها بالذنب لهذا التخيل ومحاولتها مقاومته ، إلا أنها لم تستطع ، فقد كان شبح (مجدى) يطاردها حتى وهى تراقص زوجها .

وفى ليلة الزفاف ..

★ ★ ★

فى صباح اليوم التالى توجه الزوجان إلى المحطة لاستقلال القطار المتجه إلى (الإسكندرية) ، وكان (نبيل) سعيدا بعروسه غاية السعادة ، فى حين كانت (منى) ترقب سعادته هذه وهى تقول لنفسها :

- ليتنى مثله .

ووقف (نبيل) يودع عددًا من أصدقائه ، فى حين انتحت (منى) جانبًا هى وصديقتها المقربة (فردوس) التى قبلتها ، قائلة :

- لا تنسى نصيحتى لك .. ألق بالماضى وراء ظهرك .. إن لك زوجًا طيبًا وعطوفًا ، وكما أرى فإنه يهيم بك ، وعليك ألا تفكرى فى أحد سواه وأن تبنى معه حياتك الجديدة .

قالت لها (منى) :

- سأحاول .. تأكدى أننى سأحاول أن أفعل ذلك .

وقبلتها صديقتها مرة أخرى قبل أن تستقل القطار .

وبينما هى تفعل ذلك لمحت (منى) (مجدى) واقفا بالقرب من رصيف المحطة ، وقبل أن تصعد إلى عربة القطار وجدته يندس بين صفوف الراكبين ليقترب منها وهو يهمس باسمها قائلا :

(منى) :

نظرت نحو زوجها الذى كان يصافح أصدقاءه قبل اللحاق بها ، قائلة فى همس وخوف :

ـ ما الذى جاء بك إلى هنا ؟

(مجدى) :

ـ جئت لأهنئك بالزواج .. فقد علمت أنك قد تزوجت .

(منى) :

ـ لم يكن مفروضا أن تأتى إلى هنا مطلقا .. أرجوك انصرف قبل أن يراك زوجى .

(مجدى) :

ـ ألهذه الدرجة لا تريدين أن ترينى ؟

ولم تجبه (منى) فقد كان زوجها قد اقترب من عربة القطار ، حيث سارع (مجدى) بالاستدارة والاندساس مرة أخرى بين الواقفين على الرصيف ، فى حين أحاط (نبيل) خصر زوجته بذراعه وهو يدخل معها عربة القطار قائلا :

ـ لماذا لم تجلسى فى مقعدك ؟

أجابته قائلة :

ـ كنت أنتظرك .

واستقرت فوق مقعدها وزوجها يضع الحقائب ، وحاولت أن تنظر من النافذة لكى ترى (مجدى) مرة

أخرى .. ولكنها لم تستطع ، إذ سرعان ما جلس (نبيل) بجوارها وهو يبتسم لها قائلا :

ـ أخيرا أصبحنا بمفردنا .

ابتسمت بدورها وهى تهز رأسها .

وسألت نفسها :

ـ أتراه قد رأى (مجدى) أو لاحظ أنه يحادثها ؟

لقد رآه مرة واحدة عندما جاء ليزورها فى الشركة التى كانت تعمل بها ، وربما نسى ملامحه .

وبينما هى غارقة فى أفكارها وتساؤلاتها وجزعها لرؤية (مجدى) المفاجئة .

كان الأخير يتراجع ويختلط بالمسافرين والعائدين من السفر وهو يراقب تحرك القطار ، وعيناه تحملان نظرة عجيبة ..

نظرة بلا تفسير .

★ ★ ★

٧ ـ اغفر لقلبى ..

ومر شهر على زواجهما ..

شهر عاشته مع ذلك الرجل الذى شاءت الأقدار أن تضعه فى طريقها ليكون زوجًا لها فى لحظة يأس وضياع .

كان الصباح مشرقًا ووقفت (منى) تودع زوجها قبل انصرافه إلى العمل ، وهى تراقب تلك النظرة التى لم تنطفئ فى عينيه .

نظرة تنم عن حب حقيقى وصادق .

لقد سألها أمس وهما جالسان معًا :

ـ أسعيدة أنت معى يا (منى) ؟

وأجابته وهى ترسم الابتسامة على وجهها :

ـ وكيف لا أكون سعيدة وأنت تتفانى فى تدليلى على هذا النحو ؟!

ولكن أهى حقًا سعيدة فى حياتها مع (نبيل) ؟

كيف لا تكون سعيدة وهى تعيش معه حياة هادئة مستقرة ؟

وكيف لا تكون سعيدة ، وهو لا يتوانى عن تلبية جميع طلباتها .. ويحاول دائمًا أن يثبت لها حبه بشتى الوسائل ؟

وأى مصير كان ينتظرها لو لم ترتبط بهذا الرجل ؟

ولكنها مع كل ذلك لابد أن تعترف لنفسها بأنها لم تصل بعد إلى السعادة التى ترجوها ، وإن كانت تعمل على ادعائها طوال الوقت ، لقد تعبت وملت من هذا الادعاء ومن تزييف مشاعرها حتى تبدو أمامه فى صورة الزوجة المحبة المبتهجة بحياتها معه .

وانتاب (منى) إحساس قوى بالملل ورتابة الحياة .. فهى تقريبًا لا تفعل شيئًا .. إن لديها خادمة تقوم بكل أعمال المنزل ، وقد ملت قراءة الكتب ومطالعة الصحف ومشاهدة التليفزيون وملت الأحاديث التافهة فى النوادى .

لم تكن ممن يحبون الراحة المستمرة والخمول ، وهى التى اعتادت العمل منذ سن مبكرة ، وأحست بحاجتها إلى ممارسته مرة أخرى .. فقد يقضى هذا على شعورها بالملل .. والفراغ الذى يسلمها إلى الكثير من الأفكار والهواجس .. بالإضافة إلى أنه قد ينسيها لبعض الوقت ذلك الإحساس القاسى بالذنب لاضطرارها إلى تمثيل الحب والسعادة مع زوجها ، وكانت كلما فكرت فيما قدمه إليها (نبيل) وما قدمته هى إليه ، ثقل عليها الإحساس بالذنب تجاه هذا الإنسان الطيب القلب .. المحب .. العطوف .

وعجب كيف لم يفطن إلى عجزها عن حبه بالرغم من كل ما قدمه وفعله لها ؟

ولم تدر لماذا يسيطر عليها ذلك الإحساس بالضيق والضجر ؟

فكلما غادر زوجها المنزل إلى عمله أخذت تدور فى الغرف على غير هدى ، وكأنها سجينة طالت أيام سجنها ، بالرغم من أنها لا تفتقر إلى الحرية .. ولم يحاول (نبيل) يومًا أن يقيد من حريتها أو يحاسبها محاسبة الأزواج الغيورين المتشددين ، ولقد أخبرتها صديقتها (فردوس) ذات يوم أنها تتمنى لو تزوجت رجلًا مثله .. ففيه جميع الصفات التى تتمناها الزوجة ، وهى تعرف أنه مثال الزوج الكامل ، غير أنها تعرف أيضًا أنه لم يتحول بالنسبة لها حتى الآن إلى الحبيب الذى ترجوه ، وكثيرًا ما كانت تعتقد بأنها لم تتزوج بعد ، وأن (نبيل) ليس سوى صديق وفئ لها ، وكثيرًا ما ندمت على أنها قد عرفت معنى الحب الحقيقى .. وكانت كلما ندمت وتحسرت تذكرت (مجدى) .. وتمنت لو أنها لم تقابله مطلقًا فى حياتها .

وكانت تقول أحيانًا لنفسها : ربما كان هذا العطف الهادئ الذى تراه من (نبيل) هو الحب بكل معانيه ، إنها لا تدرى .

وظلت تتساءل مرارًا وتكرارًا عن مغزى قدوم (مجدى) إلى محطة القطار فى ذلك اليوم الذى سافرت فيه مع (نبيل) إلى (الإسكندرية) ، وإصراره على تهنئتها

بزواجها ، وسر تلك النظرة الحزينة المضطربة فى عينيه وهو يودعها .

لقد أحست بأنه أراد أن يقول شيئًا فى ذلك اليوم .. ولكنه عجز وتراجع عن قوله ، ربما لمقابلتها الجافة له .. وربما لضيق الوقت والخوف من أن يلمحهما زوجها وهما يتحادثان .. وربما لأنه تردد فيما يريد أن يقوله ، وظل شىء يلح على عقلها بحثًا عن إجابة لهذه التساؤلات .

لقد حرصت على ألا تنظر إلى الخلف وأن تقفل صفحة الماضى لتنعم بحياتها مع الرجل الذى أحبها عملا بنصيحة صديقتها (فردوس) ، ولكنها لم تفلح فى ذلك .. وظلت ذكرياتها مع (مجدى) تطاردها .. وصورته فى محطة القطار ماثلة فى ذهنها .

وأخيرًا أدركت تمامًا أن حياة الخمول والراحة التى تحياها هى التى تثير فى نفسها هذه الذكريات التى تحاول الهروب منها .

وذكرت (منى) لزوجها فى المساء ما تعانيه من الإحساس بالوحدة والخمول ، فابتسم لها فى حنان ، قائلًا :

- الكثيرات يحسدنك على حياة كهذه يا (منى).

(منى) :

- نعم أعرف أن الكثيرات يحببن الحياة على هذا

النحو .. ولكن أنا لا أحب ذلك اللون من الحياة .. إننى أكره حياة الكسل والخمول هذه .

(نبيل) :

- يمكنك أن تشاركى الخادمة فى أعباء المنزل وهى عديدة .

(منى) :

- هذا ليس حلًا .

(نبيل) :

- لماذا لا تذهبين إلى النادى ؟

(منى) :

- لقد مللت النادى وتلك الأحاديث التافهة التى تدور فيه .

(نبيل) :

لا تقولى إنك ترغبين فى العودة إلى العمل ؟

(منى) :

- ولم لا .

(نبيل) :

- إننى أحاول أن أجنبك مشاق الحياة .

(منى) :

إن العمل لا يمثل بالنسبة لى أية مشقة .. بل إنه يساعد

على التخلص من الرتابة ، ويشعر الإنسان بقيمته فى الحياة .

(نبيل) :

- برغم أننى من أصحاب الآراء الرجعية بعض الشىء بالنسبة لهذا الأمر ، وأرى أن مكان المرأة الطبيعى هو فى منزلها ، وعملها الأساسى هو رعايتها لزوجها وأولادها ، إلا أننى لا أريد أن أحرمك من شىء ترغبينه .. وما دمت ترغبين فى العودة إلى ممارسة العمل .. فلتأتى إذن لتعملى معى فى مكتبى .

جزعت للفكرة ثم ما لبثت أن استسخفتها .. فمعنى أن تعمل معه هو أن تضطر إلى مرافقته طوال اليوم ، وأن تضطر بالتالى إلى تمثيل دور الزوجة العاشقة المحبة طوال الوقت ، وهذا شىء أكثر من احتمالها .. فيكفيها اضطلاعها بهذا الدور خلال الساعات التى يقضيها معها فى المنزل وما يسببه لها هذا من إحساس بالذنب ، وليست بحاجة إلى ساعات أكثر تقضيها تحت وطأة هذا الإحساس .

وقالت له محاولة التخلص من هذا المأزق ، وهى ترسم ابتسامة باهتة على شفتيها :

- أن وجودنا معًا طوال الوقت قد يقلل اشتياق كل منا للآخر ويؤدى إلى فتور عواطفنا ..

قال ونظرة حب تطل من عينيه :

- إننى أشتاق إليك دائما يا (منى) ..وعاطفتى نحوك لا تعرف الفتور .

قالت :

- صدقنى من الأفضل للزوجين ألا يكونا معًا طوال الوقت حتى تتجدد عاطفتهما دائمًا .. لقد قرأت عن ذلك فى إحدى المجلات التى تتحدث عن العلاقات الزوجية .

(نبيل) :

- لا تقولى إنك تريدين أن تعملى كسكرتيرة فى مكان آخر .. فليس من المعقول أن يكون زوجك رجل أعمال .. حتى لو كان رجل أعمال مبتدئا ويسمح لزوجته بأن تعمل سكرتيرة لدى إحدى الشركات أو المؤسسات .. أو فى وظيفة بسيطة لا تلائم وضعنا الاجتماعى .

(منى) :

- إننى أفكر فى دراسة الكومبيوتر أولًا .. فالكومبيوتر من مقومات العصر الحديث .. وهذه الدراسة ستعوض مؤهلى المتوسط وتوفر لى وظيفة مرموقة تتناسب مع مركزنا الاجتماعى .

وربما أمكننى فى هذه الحالة أن أشاركك عملك إذا ما أمكننى تحقيق فائدة مَا لك .. ولكن بعيدًا عن دور

الزوجة السكرتيرة حتى.لا يجعلنا ذلك متقاربين طوال الوقت .

لقد قرأت إعلانا لعمل دورات تدريبية على تعليم الكومبيوتر بأحد المراكز المتخصصة ومدة الدراسة لكل دورة ستة أشهر ، وأنا أرغب فى الالتحاق بهذا المركز .

صمت برهة قبل أن يقول :

- كما ترغبين يا حبيبتى .

(منى) :

- أشكرك يا حبيبى .

نظر إليها بعمق قائلًا :

- حقًا يا (منى) ؟

(منى) :

- حقًا .. ماذا ؟

(نبيل) :

- هل تحبيننى ..حقًا ؟

ارتبكت أمام نظراته المتفحصة والتشكك الواضح فى سؤاله قائلة :

- إذن لماذا تزوجتك ؟

(نبيل) :

- لا أدرى .. أحيانًا أشعر وكأنك نادمة على هذا الزواج .

ازداد ارتباكها وهى تقول :

ـ كيف تشك فى حبى لك ؟ وما الذى يجعلنى نادمة على زوج اخترته بملء إرادتى ، ولم أرى منه إلا كل حب وتقدير ؟

مر بيده على وجنتها فى نعومة وهو يبتسم لها قائلا :

ـ إننى سعيد لأننى أسمع منك هذا .. ولكن إذا شعرت يومًا ما يا (منى) بأنك لا ترغبين فى الاستمرار فى الحياة معى ، وأن زواجنا قد أصبح بمثابة قيد لك .. فأرجو أن تخبرينى بذلك .. وتأكدى أننى لن أجبرك على الاستمرار فى حياة لا ترضينها ، ولن أسمح بأن يكون زواجنا أغلالًا تقيد يديك .

وأحست بالقلق .

ترى هل أحس بفتور عاطفتها نحوه ؟ وهل أدرك حقيقة عجزها عن أن تبادله حبه برغم محاولتها المستمرة فى إتقان تمثيل هذا الحب الوهمى ؟

وهل تبين له أن رغبتها فى الالتحاق بعمل ما أو دراسة ما ، ليست سوى محاولة منها للهروب من ذلك السأم والفتور الذى يخيم على علاقتها به ؟

هل فعل هذا ؟..

هل ؟

★ ★ ★

٨ ـ دعنى و ذكرياتى ..

انتظمت (منى) فى دراسة (الكومبيوتر) بعد موافقة (نبيل) على التحاقها بالمعهد المتخصص فى هذه الدراسة .

وبرغم أن الدراسة لم تنسها تمامًا جراح حبها التى لم تندمل ، ومعاناتها مع زوج تقدره ولا تستطيع أن تهبه قلبها ، برغم كل ما وهبه لها من حب وأمان واستقرار .. إلا أنها أسهمت إلى حد كبير فى التخفيف من معاناتها ، وشغلها بدراسة جادة تأخذ الكثير من تركيزها واهتمامها . وفضلًا عن ذلك فإن الدراسة جعلتها تشعر بأهميتها بعد أن تسببت حياة الكسل والخمول فى إحساسها بالضجر وبتفاهة الحياه التى تحياها .

وعقدت العزم على أن تستفيد من هذه الدراسة بعد انتهائها ، وأن تمارس عملًا يتلاءم مع ما تتعلمه فى هذا المعهد .. خاصة وانها استطاعت بذكائها التواؤم سريعًا مع الدراسة ، وكان زوجها يوصلها كل يوم بسيارته إلى المعهد ، ثم يتوجه إلى عمله حيث تعود قبله بعدة ساعات تختلف حسب ظروف عمله .

وبينما كانت متجهة ذات يوم إلى قاعة الدراسة بالمعهد ، إذا بها تقف جامدة فى مكانها وقد فغرت فاها .. فقد كان ذلك الشخص الواقف على بعد عدة خطوات منها ويطيل إليها النظر شخصًا تعرفه جيدًا .. بل إن له مكانًا محفورًا فى قلبها لم تفلح الأيام و الجراح فى أن تمحوه .

كان ذلك الشخص هو (مجدى) .. الحبيب الغادر .

وخطا (مجدى) نحوها وعيناه تتطلعان إلى وجهها قائلًا بصوت هامس يحمل الكثير من الشوق :

ـ صباح الخير يا(منى).

مرت برهة من الوقت وهى تحدق فى وجهه و انفعالات مختلفة تتوارد عليها لقد فاجأتها رؤيته فى البداية فأصابتها بحالة من الذهول .. ثم ما لبثت أن تحولت المفاجأة إلى شوق جارف ، جاهدت لكى تتحكم فيه ، وكأنها لم تلق من هذا الرجل أى غدر فى يوم من الأيام .

وأحست بقلبها يخفق فى قوة حتى أنها خشيت أن يسمع دقاته ورددت لنفسها قائلة : إنها يجب أن تتجلد وأن تثبت له أنه لم يعد يخطر لها على بال ، و سألها هو ، قائلًا :

ـ كيف حالك ؟

جاهدت لكى تبدو متماسكة ، وهى تقول :

ـ على خير ما يرام .

(مجدى) :

ـ هل أنت سعيدة فى زواجك ؟

ألقت نظرة سريعة على أصابعه لكى تتأكد من عدم ارتباطه بغيرها .. فلم تر ما يدل على ذلك .

ـ نعم .. إننى سعيدة للغاية .

(مجدى) :

الحمد لله .. هذا يطمئننى عليك .

استجمعت شجاعتها لتسأله قائلة :

ـ ما الذى أتى بك إلى هنا ؟

(مجدى):

ـ لقد التحقت بالدراسة فى هذا المعهد .. فقد توسعت أعمالى ، والكومبيوتر الآن هام للغاية بالنسبة للعصر الذى نحياه .. وأنا لا أحب أن أتخلف عن العصر .. ولا أكتفى بالاعتماد على المتخصصين فى هذا الشأن .. بل أحب أن أكون فاهمًا على الأقل طبيعة العمل الذى يديره أولئك الذين يعملون تحت إمرتى .

(منى):

ـ إنك تتحدث الآن بلغة رجال الأعمال .. وهذا يعنى أنك قد استطعت تنمية الثروة التى آلت إليك من عمك جيدًا .

نظر إليها مليًا وهو يقول :

ـ صدقينى الثروة لم تجلب لى السعادة التى تتخيلينها .. بل إنى أحيانا كنت أفضل لو استمرت حياتى على ما كانت عليه من قبل أن تنول لي تلك الثروة .

قالت ساخرة :

ـ ما أسهل أن تقول ذلك بعد أن أصبحت ثريًا بالفعل .. وإن كنت أتمنى لو كنت أكثر صراحة ، وأخبرتنى عن مدى أهمية هذا المال الذى هبط عليك من السماء دون توقع ، فهذا على الأقل كان سيرضينى بعض الشىء ، لأنه سيشعرنى بأن تخليك عنى من أجل هذا المال ، كان يساوى هذه الأهمية .

تغيرت ملامحه ، وهو يقول لها بلهجة جادة يبدو فيها الكثير من الصدق :

ـ إننى لم أتخل عنك من أجل المال يا (منى) .. وإياك أن تصدقى ذلك .

حاولت أن تتصنع اللامبالاة وهى تقول :

ـ على كل هذا شىء فات أوانه .. ولكن لا تقل لى إن التحاقك بنفس المعهد الذى التحقت به لدراسة الكومبيوتر ، جاء من قبيل المصادفة ، بالرغم من المبررات التى سقتها .

صمت برهة وهو منكس الرأس قبل أن يقول :

ـ فى الحقيقة ، لا أنكر أننى قد كذبت عليك فى هذا الشأن . لقد كنت أتتبع اخبارك ، وأشعر بشوق جارف للتحدث إليك ومقابلتك ، وعندما علمت بأنك التحقت بهذا المعهد بذلت كل جهدى لكى ألتحق به و أكون معك .

قالت محتجة :

ـ أعتقد أنك نسيت أننى الآن امرأة متزوجة .. وليس من حقك أن تقول شيئا كهذا .. كما أنه لا يحق لى أن أسمعه منك أو من سواك .

(مجدى) :

ـ أنا آسف .. ولكنك أردت أن أقول لك الحقيقة ، ولم أشأ أن أكذب عليك .

قالت وهى تهم بالابتعاد عنه :

ـ بعد إذنك .. المحاضرة بدأت .

نظر (مجدى) إلى باب القاعة قائلا :

ـ لقد أغلق باب القاعة والمحاضرة بدأت منذ عدة دقائق ، وهم لا يسمحون بالدخول بعد بدئها .. عليك بانتظار المحاضرة القادمة بعد ساعة .

تلفتت حولها حائرة .. لا تعرف كيف تتصرف . هل تبقى معه حتى انتهاء الساعة المخصصة للمحاضرة ؟ أم تطلب منه أن ينصرف ويتركها بمفردها ؟

هل تنصرف وتعود إلى منزلها دون انتظار بقية المحاضرات ؟

ويبدو أنه أحس بحيرتها .. فقال :

- أنا آسف لأننى تسببت فى تعطيلك عن المحاضرة .

ظلت واقفة فى مكانها دون أن تجيبه بشىء ، ودون أن تحاول النظر إليه ، برغم أنها أحست به يحدق فى وجهها ، وسألها قائلا :

- أتريدين منى أن أنصرف ؟

قالت بصوت خافت مرتبك :

- الأفضل أن أنصرف أنا .

(مجدى) :

- لا داعى لذلك .. سأعود إلى عملى على كل حال .. لقد جئت خصيصًا هذا اليوم لكى أراك والتقى بك ، وصدقينى أنا نفسى كنت مترددا حائرًا بشأن هذا اللقاء .. فأنا مدرك لوضعك وللظروف التى تغيرت .. ولكن مشاعرى كانت أقوى منى .

همت بأن تقول فى غضب :

- أين كانت مشاعرك هذه التى تتحدث عنها .؟ وأين كان هذا الشوق وتلك اللهفة عندما غدرت بى ، وأخبرتنى بأنك غير واثق من حبك لى ؟

ولكنها أحست أنه حتى هذا العتاب لا يحق لها أن تقوله الآن ، فى ظل الظروف الجديدة التى أصبحت تحيط بها .. وأنه عليها أن تكتفى بما قالته له من قبل ، من أن أوان الحب والعتاب قد انتهى ولم يعد له مجال الآن .

ولما لم يجد منها جوابًا استدار منصرفًا .

ولكنها استوقفته قائلة :

- من فضلك .

التفت إليها متلهفًا وهو ينصت إليها ، فاستطردت بجفاء :

- على أحدنا أن يترك هذا المعهد .. فليس من المقبول أن نكون زملاء فيه ، حتى لو لم يتحدث أحدنا إلى الآخر .

تقلصت عضلات وجهه لما فى قولها من قسوة .. ولكنه تمالك نفسه واسترد هدوءه ، وهو يقول :

- اطمئنى .. لن أعود إلى هذا المعهد مرة أخرى إذا كان هذا يرضيك .

ثم انصرف سريعًا دون أن ينطق بكلمة أخرى ، وأسرعت (منى) إلى أول مقعد استطاعت قدماها أن تقوداها إليه لتتهالك فوقه ، وهى لا تصدق أنها استطاعت أن تواجهه على هذا النحو ، وأن تتحدث إليه بهذه القسوة والصلابة اللتين لم تعهدهما فى نفسها .

لقد كان قاسيًا للغاية معها ، فى ذلك اليوم الذى شهد نهاية

ارتباطهما .. وخلف لها جرحًا عجزت عن مداواته ..
ولكنها لم تتعمد أن تحادثه بهذه القسوة والجفاء انتقامًا منه ، أو ردًا على إيلامه لها ، ولكن لأنها أحست أن هذا هو ما يتعين عليها أن تفعله ، بعد أن أصبحت زوجة لرجل آخر .. وهذا هو أيضًا ما يفرضه عليها احترامها لنفسها .

ولو أطلقت العنان لعواطفها لما اكتفت بالنسيان والتسامح فقط ، وإنما لن تجد فرصة لمقاومة حبها الجارف لذلك الشخص الذى ما زالت تحبه .

ولكن مخاوفها لم تنته بعد ، فظهور (مجدى) على هذا النحو المفاجئ فى حياتها مرة أخرى ، أيقظ مشاعرها من جديد ، وجعلها تحس بضعفها ازاءه .

ترى ما الذى يريده منها الآن ؟ ولماذا عاد للظهور فى حياتها مرة أخرى بعد أن قرر الاختفاء دون مقدمات ؟ وما معنى هذه النبرة العاطفية التى يحادثها بها ، وهو الذى عاملها بمنتهى الجفاء والقسوة بعد عودته من السفر ؟ ألم تكن من قبل ملك يديه وطوع بنانه ، وهو الذى لفظها دون ذنب أو جريرة ؟

إذن ما معنى ظهوره الآن فى حياتها ، ومحاولته التقرب منها من جديد ، إلى حد أن يلتحق معها بنفس المعهد الذى تدرس فيه ، وتتبعه لأخبارها على هذا النحو ؟

أهى بعض بقايا حب وقديم ؟ أم أنه يحاول استعادة ذكريات مضت على حسابها ؟

أم أنه قد أصبح من الأسهل عليه الآن أن يسعى لإقامة علاقة ما معها ، دون التزام بأى ارتباط ، بعد أن أصبحت زوجة لآخر ؟

أهى رخيصة فى نظره إلى هذا الحد ؟ يهرب منها لكى لا يتزوجها ، ثم يسعى إليها بعد أن أصبحت زوجة ؟

وهزت رأسها بقوة وكأنها تنفض عن نفسها هذا التفكير قائلة :

- كلا .. لا يمكن أن يكون (مجدى) على هذه الصورة .

ربما كان إنسانًا غادرًا .. ربما فضل المال عليها .. ولكن لايمكن أن تكون فى نظرة بهذا الرخص ، وإلا فإنها لم تعرف هذا الشخص مطلقًا .

أيكون ضميره قد صحا ، واستيقظت مشاعره نحوها من جديد ؟

عشرات الأسئلة ظلت تدور فى رأسها دون إجابات .

عشرات الأسئلة أسلمتها للحيرة والاضطراب ، فأغمضت عينيها فى أسى وهى تهتف فى أعماقها :

- تبًا لك يا (مجدى) .. لماذا لم ترحل عن حياتى إلى

الأبد ؟ لماذا عدت للظهور فى دنياى من جديد ؟

لماذا أعدت لقلبى أشواقًا .. وحنينا .. وجراحا .. وذكريات أليمه أجاهد لكى أنساها ؟ .. لماذا ؟.. لماذا ؟

وبقى السؤال معلقًا فى أعماقها ..

بلا جواب .

★ ★ ★



٩ - الاختيار المرير ..

كان أول ما فعلته (منى) عندما حضرت إلى المعهد فى اليوم التالى ، هو أنها أخذت تتلفت حولها بحثًا عن (مجدى) ، وتمنت لو أنه جاء ولم ينفذ ما طلبته منه بترك المعهد ، فقد انتابها إحساس بالندم والألم لأنها كانت قاسية معه أمس ، والألم لأنها قد لا تراه مرة أخرى .

ولكنه لم يأتِ .. ومر أسبوع كامل بعد ذلك اليوم الذى التقت فيه به ، دون أن يفكر فى لقائها مرة أخرى .

وجعلها هذا عصبية وسريعة الانفعال ، وكانت أحيانا تقول لنفسها : « هذا أفضل » ، وترى أنها تصرفت التصرف الذى يجب أن تتصرفه أية امرأة محترمة ، وأحيانا أخرى كانت تثور على نفسها قائلة : بأنها حمقاء لتصرفها هذا ، وأن هذا الاحترام الذى تدعيه لا يمكن أن يغير الحقيقة التى تعرفها جيدًا،وهى أنها ما زالت تحب (مجدى) وتتعذب لفراقه ، وأنه كان يتعين عليها ألا تبعده عنها .. مهما كانت الأسباب والدوافع .

ولاحظ زوجها عليها ذلك فسألها ذات مساء :

- (منى) .. لماذا أنت متوترة على هذا النحو ؟

قالت وقد تنبهت إلى حقيقة توترها بالفعل :
- أنا ؟. ما الذى يدعونى إلى التوتر ؟
(نبيل) :
- هذا ما أراه واضحا عليك .
(منى) :
- ربما أكون مرهقة فقط .. هذا كل ما فى الأمر .
(نبيل) :
- هذا وضع طبيعى .. فأنت تقضين وقتًا طويلا فى دراستك للكومبيوتر ، ثم تعودين إلى المنزل لتقومى بأعمال كثيرة لا لزوم لها ، ويمكنك أن تكلفى الخادمة بعملها .. كما أننى لاحظت أن ساعات نومك أصبحت قليلة جدًا .
لم تشأ أن تخبره بأنها تعمد إلى إرهاق نفسها فى أعمال المنزل ، لكى تصرف تفكيرها عن التوتر الذى يعتريها ، بسبب أملها الذى يتجدد كل يوم فى رؤية (مجدى) ، ثم لا يلبث أن يتحول إلى إحباط وخيبة أمل لعدم حضوره .
وكيف يتسنى لها أن تنام نومًا طبيعيًا وهى محملة فى نهاية اليوم بهذا الكم من المشاعر المضطربة والمحبطة ؟
واستطرد هو قائلًا :
- لو كنت ترغبين فى التوقف عن هذه الدراسة ...
ولكنها قاطعته قائلة :

- بالعكس إنها دراسة شيقة ولقد بدأت أحبها .
قال وهو ينظر إلى وجهها بقلق :
- كما تحبين ، ولكننى فقط لا أريد أن يكون ذلك على حساب صحتك وراحتك .
وفى اليوم التالى غادرت (منى) المعهد وهى محملة بنفس مشاعر اليأس والإحباط لعدم رؤيتها (لمجدى) .. وأحست بكراهية عودتها للمنزل .. والرغبة فى السير على قدميها .
وبعد أن سارت عدة أمتار على قدميها ، فوجئت بسيارة تتوقف بجوارها ، وصوت يهتف من داخلها قائلًا :
- (منى) .
نظرت نحو صاحب الصوت لتجد أنه (مجدى) :
وهذه المرة لم تستطع أن تمثل الصلابة واللامبالاة ، فقد بدت الفرحة على وجهها وهى تراه يغادر السيارة متجهًا نحوها ، واقترب منها ، قائلًا :
- آسف يا (منى) .. لم أستطع أن أمنع نفسى .. كان لابد أن أراك .
لم تدر ماذا تقول فقد وقفت أمامه مضطربة كما حدث فى المرة السابقة ومشاعرها مختلفة تتنازعها ، وهمس لها قائلًا :

- (منى) .. لقد قلت لى فى ذلك اليوم الذى افترقنا فيه ، إنك لن تكرهينى .

قالت وهى تحاول أن تخفى شوقها إليه :

- إننى لا أكرهك .. ولكن ما زلت لا أفهم لماذا فعلت ما فعلته معى بعد .. بعد ما كان يجمع بيننا .

أطرق قائلًا :

- سيأتى يوم تعرفين فيه الحقيقة .. ولكن حتى يأتى ذلك اليوم أريد أن أتأكد أنك قد غفرت لى .

قالت بصوت مستسلم :

- فليغفر الله لنا جميعًا .. نعم .. لماذا لا ننسى ما حدث ونكون صديقين ؟

كانت تخفى بذلك رغبتها فى إيجاد صلة ما تربطها به ، وردد ، قائلًا :

- صديقين ؟

(منى) :

- نعم .. ألم نكن صديقين قبل تلك الرابطة العاطفية التى جمعت بيننا يومًا ما .

(مجدى) :

- وهل من اليسير أن يتحول الحب إلى صداقة ؟

(منى) :

- ولم لا ؟. لقد تألمت فى البداية وبكيت عدة أيام ثم انتهى الأمر .

(مجدى) :

- ولكن ظننت عندما التقينا فى المعهد أنك .. أنك ..

اصطنعت ابتسامة على وجهها قائلة :

- أننى ما زلت أحبك .. ولذلك أريد إبعادك عن حياتى حتى لا أضعف إزاء هذا الحب .. خاصة بعد أن أصبحت امرأة متزوجة أليس كذلك ؟

(مجدى) :

- نعم .

(منى) :

- أنا أيضًا ظننت ذلك .. ولكن فكرت فى الأمر مليًا .. ولكنى .. ولكن... ولم تستطع الاستمرار فى التمثيل أكثر من ذلك .. إذ سرعان ما اختنقت الدموع فى عينيها وهى تنتحب قائلة :

- تبًا لك لماذا عدت ؟ إننى لا أستطيع أن ألقاك مرة أخرى ، ولا أستطيع الابتعاد عنك بعد أن عدت للظهور فى حياتى .. لقد أفسدت علىَ حياتى ، وسبَبت لى الكثير من الألم ، منذ هذا اليوم الذى التقيت بك فيه فى المعهد .. وبعد أن بدأت حياتى تستقر .

(مجدى) :

- أنا آسف من أجل ذلك ... وأنا أقدر وضعك الآن كزوجة وربة بيت .. ولكن صدقينى لم أستطع أن أمنع نفسى من أن ألقاك وأتحدث إليك ، برغم أننى حاولت كثيرًا أن يكون لقاء المعهد بيننا هو اللقاء الأخير .

قالت ، وفى صوتها رنة ضعف :

- وما الحل ؟

(مجدى) :

- الحل هو ما قلتِه الآن .. أن نحوّل ما بيننا إلى صداقة إذا أمكننا ذلك ، كوسيلة نستطيع بها أن نطمئن على بعضنا ، وأن يلتقى كل منا بالآخر إذا ما سمحت الظروف .

قالت بسخرية :

- ولِمَ لا تقول إنها خديعة نحتال بها على عواطفنا ؟. أنت نفسك قلت إنه ليس من اليسير أن يتحول الحب إلى صداقة .

أطرقت وهى تردف قائلة :

- وأنا أعرف ذلك جيدًا .

قال لها (مجدى) متألمًا :

- ما أقسى ما فعلناه بأنفسنا !

نظرت إليه وفى عينيها نظرة اتهام قائلة :

- ما فعلته أنت ، فأنا لم أرتكب فى حقك أى جرم ، وكنت على العهد الذى بيننا حتى اللحظة الأخيرة .

قال وهو يسير بجوارها :

- (منى) ...

قاطعته قائلة :

- إننى لا أطلب منك اعتذرًا جديدًا أو تبريرًا ، ولم أعد راغبة فى العتاب ، المشكلة هى .. هى ...

وصمتت برهة من الوقت قبل أن تقول بخجل واعتراف بالضعف :

- أننى ما زلت أحبك .

وعاد ليحاول أن يحدثها قائلًا :

- (منى) :

ولكنها قاطعته من جديد ، قائلة :

- لا تقل شيئًا .. إننى أشعر بالخجل من أجل الاعتراف بذلك ، فلا يحق لى كزوجة تحمل اسم رجل آخر لم تلق منه إلا كل حب واحترام وتقدير ، أن أقول شيئا كهذا .

ولكن إخفاء الحقيقة لن يغيرها ، مهما أطلقنا عليها من تسميات أخرى كالصداقة أو المودة أو ما شابه ذلك .

لقد أردت أن تعرف هذه الحقيقة بالرغم من كل شىء حتى تراف بى .

(مجدى) :

- أرأف بك ؟

(منى) :

- نعم أريد أن تكون هذه المرة رحيمًا بى بعد ما عرفته عن حقيقة مشاعرى ، وتجعل لقاءنا هذا هو اللقاء الأخير .. فأنا لا أريد أن أكون زوجة خائنة بأى حال من الأحوال .

(مجدى) :

- ولكننا لن نرتكب إثمًا .. كل ما طلبته هو أن نلتقى ونتحدث .

(منى) :

- إن مجرد لقائنا يعد خيانة وإثمًا .

(مجدى) :

- (منى) .. أرجوك لا تعذبينى وتعذبى نفسك .. لا تحرمينا تمامًا من مجرد لقاء برىء .

قالت متألمة :

- أرجوك أنت .. قدر موقفى .. لقد أصبحت شابًا ثريًا ومرموقًا .. وأية فتاة تتمناك .. فلتتزوج وتنسنى .. وليبق حبنا ذكرى من الماضى .

(مجدى) :

- إذا استطعت أنت أن تنسينى أستطيع أنا أيضًا أن

أنساك . إن الماضى ما زال يعيش بداخلنا يا (منى) .

لم تستطع الأيام ولا زواجك من آخر .. ولا الثراء الذى حصلت عليه أن يغير منه شيئًا .

(منى) :

- ولكن الظروف بالنسبة لى قد تغيرت .. وهناك شخص أحبنى .. وتزوجنى ، ووقف إلى جوارى فى أحلك لحظات حياتى .. ولا يمكننى أن أصدمه فى مشاعره ، أو يكون جزاؤه منى الخيانة .

هل تعرف ماذا حدث لى خلال الأيام الماضية ؟.. لقد كنت أتلفت حولى كالمجنونة بحثًا عنك ، كنت مشتاقة لرؤيتك .. وكنت أتألم من أجل اشتياقى هذا ، كنت أتمنى أن ألتقى بك مرة أخرى .. وكنت أخاف أن يحدث هذا ، كنت حائرة ومترددة ومضطربة بين مشاعر شتى .. مما أثر على أعصابى وأصابنى بالتوتر والعصبية .. وقد لاحظ زوجى ذلك ، كل ذلك أحدثه لقائى بك فى المعهد .. أتدرى ما الذى يمكن أن يصيب حياتى كلها لو تجدد لقاؤنا ؟

صمت (مجدى) دون أن يجيبها .. وقد أحس بحقيقة معاناتها ، فى حين استطردت قائلة :

- من الأفضل يا (مجدى) أن يبتعد كل منا عن الآخر ، وأن يقنع بما منحته له الحياة .

لقد كنت أتمنى أن أراك .. بل أتلهف على ذلك .. ولكنى الآن أفضل أن أتحمل مرارة فراقك وأنت بعيد عنى ، على مشاعر الندم التى يمكن أن أحسها كلما التقيت بك .. وفقدى لاحترامى لنفسى .

(مجدى) :

- سأبتعد عنك يا (منى) .. ما دامت هذه هى رغبتك .. سأفعل ذلك من أجلك حتى تنعمى بحياتك .. سأحاول أن أكون أكثر قسوة على نفسى هذه المرة .. ولكن تأكدى أنه لن تكون فى حياتى سواك .

وصافحها قائلًا :

- وداعًا يا (منى) .

ارتجفت يدها بين يديه ، وقد احتفظ بها لبرهة من الوقت قبل أن يحررها من أصابعه .

ثم استدار عائدًا إلى سيارته .

وبرغم الارتجافة التى أحست بها (منى) تسرى فى كل كيانها .. إلا أنها حاولت أن تكون أكثر صلابة هذه المرة ، واستطاعت أن تخنق العبرات فى عينيها ، وأن ترقب رحيله دون بكاء أو نحيب ، برغم أن شيئًا فى أعماقها كان يصرخ متألمًا لرحيله ، ويناديه أن يعود .. ولكنها لم تستجب .

لقد اختارت أن تكون الزوجة الوفية المخلصة ، بعد أن

عجزت عن أن تكون الزوجة المحبة .

اختارت أن تكون الزوجة الوفية عن أن تكون الحبيبة الخائنة ، واستمرت فى سيرها عائدة إلى منزلها ، وهى تقسم فى أعماقها على الحفاظ على هذا الاختيار .. وإلى الأبد .

* * *



١٠ ـ قليل من الحب ..

جلست (منى) أمام جهاز التليفزيون شاردة بعيدة كل البعد عما يدور على شاشته من أحداث .. وقد شغلها التفكير فيما دار بينها وبين (مجدى) أمس من حديث .

وبينما هى جالسة هكذا ، دخل (نبيل) مشرق الوجه حاملًا فى يده بعض اللفائف .. وهو يناديها قائلًا :

ـ (منى) .. الحمد لله على أننى وجدتك .. فقد كنت ارغب فى أن تكونى فى استقبالى .

نهضت من مقعدها وهى تبتسم قائلة :

ـ يبدو أنك تحمل أخبارًا سعيدة .

(نبيل) :

ـ نعم ولن أقولها إلا بعد أن أقبلك .

وانحنى على وجنتيها ليقبلها قائلًا :

ـ لقد استطعت اليوم أن أنجز صفقة تجارية ممتازة ستنقلنا نقلة كبيرة ، وتجعلنى رجل أعمال حقيقيًا .

تهلل وجه (منى) وهى تقول :

ـ مبروك يا حبيبى .

قدم لها اللفائف التى يحملها قائلًا :

ـ لقد أحضرت لك بعض الهدايا بهذه المناسبة السعيدة .. إنها مجرد هدايا بسيطة ، أما الهدايا الحقيقية فسوف تأتى فيما بعد .

سأشترى لك سيارة خاصة بك ، وسنقطن فى منزل آخر أكثر اتساعًا ..

(منى) :

ـ إننى سعيدة من أجلك .. ولكنى أحب هذا المنزل .

(نبيل) :

ـ إذن سنجرى بعض التعديلات والديكورات على هذا المنزل . إن لك نصيبًا فى هذا النجاح .

نظرت إليه بدهشة قائلة :

ـ أنا ؟!

(نبيل) :

ـ نعم .. لقد وجدت الاستقرار الذى أنشده ، والزوجة التى أبحث عنها ، فوفر لى ذلك القدرة على العمل الدءوب ، وأصبح لدى الحافز لتحقيق المزيد من الطموحات والنجاح ، وحافزى دائمًا هو إسعادك يا (منى) .

تطلعت إليه قائلة بتأثر :

ـ إنك تغمرنى بحنان وعطف لا أستحقه يا (نبيل) .

قال وعيناه تعبران عن حب حقيقى لم تنطفئ جذوته منذ أن تزوجا :

- إننى أدين لك بسعادتى يا (منى) .

ولم تدر ماذا تقول له .. لقد اغرورقت عيناها بالدموع تأثرا من قوة عاطفته وهو يطوقها بذراعيه ، مستطرذا :

- لو تعلمين كم أحبك .

وما لبث أن حررها من ذراعيه وقد بدا أنه انتبه لشىء كان غافلا عنه ... إذ قال لها :

- ولكنك لم تذهبى إلى المعهد اليوم ؟

أجابته بصوت خافت :

- لن أذهب إلى المعهد مرة أخرى .

نظر إليها بدهشة قائلا :

- ولكنك كنت متحمسة لدراسة الكومبيوتر .

(منى) :

- لقد مللت هذه الدراسة ، ولم أعد أرغب فى الاستمرار فيها .

ثم نظرت إليه قائلة :

- ألم تكن هذه رغبتك ؟

(نبيل) :

- نعم .. لقد كنت أفضل وجودك فى المنزل .. ولكنى أردت أن يكون ذلك وفقًا لرغبتك وإرادتك .. ولا أريد أن يكون لى تأثير بهذا الشأن ، حتى لا تقولى إننى حرمتك من شىء تحبينه .

(منى) :

- لم تكن دراسة الكومبيوتر سوى وسيلة لقتل الوقت ، والتحرر من السأم والملل الذى بدأ يصيبنى بسبب رتابة الحياة ، وافتقادى لوجودك طوال النهار .

ثم تطلعت إليه قائلة برجاء :

- (نبيل) ألا يمكننا أن نأخذ إجازة قصيرة ، ونذهب إلى أى مكان آخر ؟ فأنا بحاجة ماسة لبعض التغيير .

ابتسم لها (نبيل) قائلا :

- كأنك كنت تقرئين أفكارى .. لقد فكرت فى هذا بالفعل ، وجئت لأعرض عليك أن نأخذ إجازة أسبوعًا ونذهب إلى (باريس) .. وخاصة بعد نجاحى فى تلك الصفقة التى حدثتك عنها .

وتهلل وجهها قائلة :

- باريس !؟ يالها من مفاجأة .. ومتى نذهب ؟

(نبيل) :

- من الغد لو أردت .

- (منى) :

ـ ليتنا نفعل ذلك .

(نبيل) :

ـ جهزى حقائبنا إذن ، ولن يمر علينا الغد قبل أن تكونى فى (باريس) .

★ ★ ★

سافرت (منى) مع زوجها إلى باريس ، حيث أخذ يطوف بها العديد من معالمها السياحية المميزة .. وكذا متاجرها الراقية ، ليبتاع لها ما تشتهيه نفسها من ملابس وأدوات زينة .

وكان (نبيل) مسرفًا فى إرضاء زوجته ، ويتفنن فى إسعادها وإدخال البهجة على قلبها .

وكانت (منى) قد قررت أن تبذل أقصى جهدها لتنسى (مجدى) ، وتمنح نفسها الفرصة لكى تحب زوجها بالفعل ، فأسرفت هى الأخرى فى الإغداق عليه بعواطفها التى بدأت رويدًا .. رويدًا تتحول من عواطف تمثيلية إلى مشاعر حقيقية .. ربما لم تكن فى نفس قوة عاطفتها نحو (مجدى) .. ولكنها كانت صادقة هذه المرة .. لقد آلت على نفسها ألا تكف عن محاولة أن تكون زوجة محبة لزوج يمنحها كل الحب والعطف والحنان .

توقفت (منى) عن السير بجوار إحدى الحدائق العامة

فى (باريس) .. ثم لم تلبث أن تهالكت فوق أحد المقاعد الخشبية قائلة لزوجها :

ـ لقد بلغ منى التعب منتهاه .. وأشعر بقدمىَّ وكأنهما متورمتان .

جلس (نبيل) بجوارها قائلًا :

ـ أنت التى طلبت أن نسير بدلًا من أن نستقل سيارة أجرة ، حتى تستمتعى بالأماكن الطبيعية الجميلة هنا .

(منى) :

ـ نعم .. ولكن يبدو أن انبهارى بجمال الطبيعة هنا جعلنى لا أشعر بأننى قد سرت ساعات طويلة على قدمىَّ حتى تورمتا .

(نبيل) :

ـ المهم .. هل تستمتعين ؟

(منى) :

ـ غاية الاستمتاع يا (نبيل) .. (باريس) رائعة ، وأنت جعلتنى أزور أماكن عديدة فيها خلال مدة قصيرة .

(نبيل) :

ـ هذا ما جئنا من أجله .. أريد أن ترى أجمل ما فى (باريس) خلال الأسبوع الذى نقضيه هنا .

تأملته قائلة :

ـ وأنت .. ألم تتعب ؟

ابتسم قائلا :

- إننى لا أشعر بالتعب أبدًا .. طالما كنت معك يا (منى) .

أطلقت ضحكة قصيرة وهى تنظر إليه ، وسألها قائلًا :

- لماذا تضحكين ؟

(منى) :

- من يراك تتحدث هكذا لا يمكن أن يصدق أننا زوجان .

(نبيل) :

- وما الذى يجعله لا يصدق ؟

(منى) :

- لأنه لا يوجد زوج يقول لزوجته مثل هذا الكلام .

(نبيل) :

- هذا .. إذا لم يكن الزوج يحب زوجته .

(منى) :

- قليل أيضًا هم الأزواج الذين يستمرون فى حب زوجاتهم كما تفعل أنت .

(نبيل) :

- ولكن الحقيقة هى أننى أحبك .. ولن أمل من الاعتراف بذلك .

(منى) :

- ليتك تقول هذا بنفس الصدق الذى تقوله الآن بعد خمس سنوات أخرى من زواجنا .

(نبيل) :

- لو قدر لنا أن نعيش مائة عام ، فستجديننى أقول لك نفس الشىء وأنا أبلغ عامى المائة .

(منى) :

- ألا ترى أنك تبالغ فى تصوير عواطفك ؟ أم هى النزعة الرومانسية التى تغلب عليك يارجل الأعمال الناجح ؟

(نبيل) :

- إننى لا أقول سوى ما يشعر به قلبى نحوك يا (منى) .

صمتت (منى) برهة وقد بلغ بها التأثر مداه من قوة مشاعره هذه نحوها ، وسألها قائلًا :

- لماذا أنت صامتة ؟

قالت وفى عينيها نظرة تأثر ، وهى تنوى الاعتراف له بحقيقة مشاعرها نحوه :

- (نبيل) إننى ...

أسكتها بإشارة من يده قائلًا :

- أعرف .

(منى) :

- ما الذى تعرفه ؟

(نبيل) :

- أنك لا تبادليننى عاطفتى .

(منى) :

- (نبيل) ...

قاطعها مرة أخرى :

- ولكنك على الأقل تحتفظين لى بقدر من الود .. أليس كذلك ؟

(منى) :

- ولكننى أحبك .. ربما ليس بطريقتك ... ولكننى أريد منك أن تصدق أننى أحبك .

(نبيل) :

- أنت تحاولين يا (منى) .. تحاولين أن تحبينى .. إننى أشعر بهذا وأحاول مساعدتك فى النجاح فى هذه المحاولة .

قالت ، وكأنها تسعى لنفى اتهام عنها :

- كلا يا (نبيل) لا تقل هذا .. أنت زوجى وأنا أحبك .

(نبيل) :

- ان كونى زوجك لا يفرض عليك أن تحبينى .. إنه يفرض عليك طاعتى وحسن معاشرتى والإخلاص لى .. أما أهواء القلوب فلا سلطان للمرء عليها .

(منى) :

- لماذا لا تريد أن تصدق ؟ ولماذا أنت مصر على أن تتهمنى بمثل هذا الاتهام ؟ ألا بدّ لكى تعرف أننى أحبك أن أردد كلمات كتلك التى ترددها ، كالحب الذى سيبقى بعد مائة عام وما شابه ذلك .

(نبيل) :

- إننى لا أتهمك بشىء يا (منى) .. ولم أطالبك بما هو فوق طاقتك ، كما أننى أصدق أنك تحتفظين لى بالكثير من الود ، وأننا نتقارب يومًا بعد آخر ، وقد يأتى اليوم الذى تحبيننى فيه .. ولكننى واثق من أنه لن يكون بنفس القدر الذى أحبك به ، كما أن الحب ليس عبارات منمقة تقال .. إن الحب هو أولًا إحساس .. إحساس لا تخطئه العين ولا يخطئه القلب .. وما كلماتى لك سوى تعبير عن هذا الإحساس .

ولكننى أعود فأقول لك ما سبق أن قلته من قبل ، وهو أنه مهما كان حبى لك ، فتأكدى أن هذا الحب لن يكون يومًا من الأيام قيدًا عليك يغل من حريتك إذا ما أردتها .

قالت متبرمة :

- وتقول إنك تبغى سعادتى .. ألا ترى أنك تفسد علينا تلك الأوقات السعيدة التى نقضيها معًا .

(نبيل) :

ـ أنا آسف يا حبيبتى فلتنسى ما قلته إذا كان ذلك سيفسد عليك سعادتك .

نهضت (منى) قائلة :

ـ هيا بنا إذن لنستأنف جولتنا .

نهض بدوره قائلًا :

ـ ألا يكون من الأفضل أن نستقل الآن سيارة أجرة ما دمت متعبة هكذا ؟

(منى) :

ـ كلا .. لقد زال التعب ، وأريد أن أستأنف هذه الجولة الرائعة على قدمىَّ .. بعدها نستقل سيارة تذهب بنا إلى الفندق .

(نبيل) :

ـ كما تريدين .

ولكنها كانت أقل تمتعًا بالنزهة هذه المرة .. فقد عاودها القلق بسبب ما قاله (نبيل) .

إنه يدرك ضعف عاطفتها نحوه ويحسه ، برغم أنها تبذل أقصى جهدها لتجعله يشعر بغير ذلك ، ولكنه بالرغم من ذلك ما زال محتفظًا بقوة حبه لها .. وعاطفته وحنانه وسخاؤه يزداد نحوها .. دون أن يحاول أن يشعرها يتبرمه من عدم وجود مقابل حقيقى لحبه الكبير هذا .

كم هى مخطئة فى حق هذا الإنسان الكريم النبيل .

ولكن الشىء الوحيد الذى يخفف الآن من عذاب ضميرها ، هو أنها بالفعل تحاول أن تسدل ستارًا على الماضى ، وأن تعيش حبًا جديدًا مع زوجها .. وهو رجل يملك كل الصفات التى تجعلها ، بل وتجعل أية امرأة تحبه .

ربما لم تفلح فى أن تحبه بنفس القدر الذى يحبها به كما قال ، ولكنها تتمنى أن تمنحه من قلبها ومشاعرها ما يستحقه من حب .

تتمنى هذا كثيرًا ..

كثيرًا جدًا .

* * *



١١ ـ صوت الضمير ..

أقبل (نبيل) على زوجته فى مرح قائلًا :

ـ عندى مفاجأة لك .

ابتسمت قائلة :

ـ وما هى ؟

اقترب (نبيل) من النافذة المطلة على الشارع قائلًا :

ـ انظرى من النافذة .

وأشار من النافذة إلى سيارة حمراء جديدة قائلًا :

ـ ما رأيك ؟

هتفت قائلة :

ـ هل تقصد ...

قاطعها (نبيل) :

ـ لقد وعدتك أن أهديك سيارة حديثة .

عانقته بامتنان قائلة :

ـ أنت أعظم زوج فى العالم .

(نبيل) :

ـ هل تحبين أن تجربيها ؟ أعتقد أنه ليس لديك مشكلة ، فقد علمتك القيادة .

تهلّل وجهها وهى تقول :

ـ إننى متلهفة لذلك .

(نبيل) :

ـ حسن .. هيا بنا لتجربيها .

أخذت (منى) تدور بالسيارة حول المنزل ، وهى تبدو كالطفلة الصغيرة الفرحة بلعبة جديدة أهديت إليها .

وابتهج (نبيل) لسعادتها وهو يقول :

ـ لقد أصبتنى بالدوار .. ألا نستفيد من هذه السيارة بشكل أفضل ؟

قالت ضاحكة :

ـ مُرْ تُطع يا سيدى .

قال وهو يتظاهر بالعظمة والكبرياء :

ـ حسن .. اذهبى بى إلى مكتبى الآن على الفور .

توقفت عن العبث قائلة :

ـ هل أنت عائد إلى مكتبك الآن ؟

(نبيل) :

ـ نعم .. لدى بعض الأعمال التى يتعين علىّ إنجازها .. لقد عدت إلى المنزل فقط بمجرد تسلُّمى السيارة لأفاجئك بها ، ولأننى لم أستطع أن أنتظر حتى أعود إلى المنزل فى نهاية اليوم دون أن أرى هذه الفرحة فى عينيك .

وصمت قليلًا قبل أن يقول :

ـ إنك لا تعرفين مقدار سعادتى كلما رأيتك سعيدة على هذا النحو .

قبلته قبلة سريعة على شفتيه قائلة :

ـ أشكرك يا (نبيل) على كل ما تفعله من أجلى .

مرر (نبيل) أصابعه بين خصلات شعرها قائلًا :

ـ حياتى كلها ملك لك يا (منى) .

أحست بالتأثر الشديد ، وهو شعور ينتابها كلما أغدق عليها من حبه وحنانه على هذا النحو ، ولكنها تغلبت على تأثرها قائلة بلهجة مرحة :

ـ والآن سترى أيها السيد الكريم والزوج العظيم ، أن لديك سائقة ماهرة ستصل بك إلى عملك خلال عشر دقائق فقط .

★ ★ ★

عادت (منى) إلى منزلها بعد أن أوصلت زوجها وهى تتمايل طربًا وفى حالة مرحة ، وقد أحضرت بعض لوازم المنزل معها .

وما إن بدأت فى وضع الأشياء التى أحضرتها داخل الثلاجة حتى تعالى رنين جرس التليفون .. وابتسمت وهى تتجه لرفع السماعة واثقة من أن المتحدث هو زوجها ..

فهو لا يمل التحدث إليها عدة مرات خلال اليوم ، كلما سمحت له ظروفه بذلك للاطمئنان عليها .. ولابد أنه يريد التأكد من عودتها سالمة إلى المنزل ، خاصة بعد أن أبدت بعض التهور خلال قيادتها للسيارة هذا اليوم .

ولكن ما إن رفعت السماعة إلى أذنها حتى أصابها شىء من الاضطراب وتبدلت ملامح وجهها .. فقد كان المتحدث هو (مجدى) ، الذى هتف :

ـ (منى) .. (منى) .. أنا (مجدى) .. أتسمعيننى ؟

قالت بوجوم :

ـ ماذا تريد يا (مجدى) ؟

(مجدى) :

ـ أريد أن أقابلك .. أريد أن أقابلك بأسرع وقت وبأية وسيلة .

استغربت لهجته .. وهى تقول :

ـ ألم نتفق فى المرة السابقة على ألا نلتقى بعد ذلك ، وأن تكون هى المرة الأخيرة ؟

قال باستعطاف :

ـ أرجوك يا (منى) .. فى المرة السابقة لم تكن هناك كثير من الأمور التى أعرفها الآن قد اتضحت .. وأنا

بحاجة ماسة إلى توضيحها لك .. وأرجو أن تمنحينى هذه الفرصة .. لقد حاولت الاتصال بك من قبل ، ولكنى علمت أنك كنت مسافرة إلى الخارج .

(منى) :

- ماهى تلك الأمور التى تريد أن توضحها ؟

(مجدى) :

- لا أستطيع أن أخبرك فى التليفون .

قالت وهى تحاول أن تكون قوية كما عزمت على ذلك من قبل :

- ولكنى لا أستطيع أن أقابلك .

(مجدى) :

- أرجوك يا (منى) .. أستحلفك بكل ما كان بيننا من حب ، دعينا نلتق ونتحدث ولو لنصف ساعة فقط .

لم تجد (منى) بدًا من الاستسلام لرجائه فأجابته قائلة :

- متى تريد أن نلتقى ؟

(مجدى) :

- بعد نصف ساعة من الآن .

قالت محتجة :

- بعد نصف ساعة ؟! ولكن هذا مستحيل .. إننى فى

انتظار عودة زوجى ، فلنؤجل ذلك اللقاء لما بعد .

قال وهو يصر على طلبه :

- بل بعد نصف ساعة .. فأنا لم أعد أحتمل الانتظار أكثر من ذلك .

قالت مترددة :

- لو تخبرنى فقط .. ما الذى تريده منى ؟

(مجدى) :

- أريد أن تعرفى الحقيقة كاملة .

(منى) :

- أية حقيقة .

(مجدى) :

- ستعرفين كل شىء عندما نلتقى .. سأكون فى انتظارك فى نفس المكان الذى اعتدنا أن نتقابل فيه من قبل .. أتذكرينه يا (منى) ؟

ولم تجبه (منى) . فهذا المكان الذى يتحدث عنه تحمل له فى نفسها أجمل الذكريات .. ذكريات حبها لـ (مجدى) .. وله فى نفسها أيضًا أتعس ذكرى فى حياتها .. ذكرى تنكر (مجدى) لهذا الحب ، الحب الذى تسعى جاهدة لكى تنساه .. وتحاول الآن إقناع نفسها بأنها قد أفلحت فى ذلك .. أو على الأقل فى بداية طريق النسيان .

واستطرد (مجدى) قائلًا :

ـ المكان الذى شهد وداعنا .

ثم أردف قائلًا :

ـ إننى أحدثك الآن من هناك .. وسأكون فى انتظارك .

ووضع سماعة التليفون تاركًا إياها فى حيرة ، وقالت لنفسها وهى تضع سماعة التليفون بدورها :

ـ كلا .. لن أذهب .. لقد عاهدت نفسى على ألا ألتقى به بعد ذلك .

ثم اردفت وهى تحادث نفسها مترددة :

ـ ولكنه ينتظرنى .. ويأمل فى ذهابى إليه .. لقد رجانى أن أذهب إليه ، ويبدو أنه بحاجة ماسة لأن يقول لى شيئًا ما .

واستمرت فى ترددها وهى تقول :

ـ ولكن إذا ذهبت إليه فسوف أضعف أمامه .. وقد لا أجد فى نفسى الشجاعة مثلما وجدتها فى المرة السابقة لكى أقاوم تأثيره علىّ . لو أراد أن يحاول مخاطبة عواطفى مرة أخرى .. فربما لن أستطيع أن أكون بنفس القوة التى حسمت بها الأمر معه فى لقائنا الأخير ، فأنا .. فأنا ما زلت ..

أحست كما لو أن إنسانة أخرى تخاطبها قائلة :

ـ أنت ماذا ؟.. قوليها .. قوليها صريحة .. ما زلت تحبينه .

تراجعت إلى الوراء فى ذعر وكأنها تخشى هذا الصوت الذى يحدثها .. ولم يكن سوى صوت ضميرها قائلة :

ـ كلا .. كلا .

ورد عليها ذلك الصوت من أعماقها :

ـ بل هذه هى الحقيقة .. فلماذا تخدعين نفسك ؟

قالت لنفسها فى إصرار :

ـ كلا .. كلا .

ثم هدأت قليلًا وهى تردف قائلة :

ـ ربما كنت أحبه .. ولكن علاقتنا انتهت .. لقد حسمت الأمر بينى وبينه .. وعاد صوت ضميرها يخاطبها قائلًا :

ـ ما دمت ما زلت تحبينه فالأمر لم ينته بعد .. ولا يمكن أن يكون الأمر قد حسم بينكما .. ثم ماذا عن (نبيل) ؟ (نبيل) الرجل الذى يتفانى فى حبك ، ويبذل أقصى وسعه لإسعادك ؟

وقالت لنفسها وهى تحاول أن تهوّن الأمر :

ـ إننى لم أرتكب خطأ فى حق (نبيل) .. ولن أفعل أى شىء يمكن أن يسىء إليه .. كل ما هنالك أن (مجدى) يريد أن يتحدث فى أمر ما ، وليس هناك ما يمنع من أن أستمع إليه .

وعادت لتقول وكأنها تؤكد هذا المعنى :

- نعم .. ليس فى هذا أى خطأ من جانبى .

عاد صوت ضميرها ليخاطبها قائلًا :

- وهل تستطيعين أن تخبرى زوجك بذلك ؟

وقالت وكأنها تتحدى هذا الصوت الذى يؤرقها :

- كلا .. لن أخبره .. ومع ذلك فسوف أذهب .

★ ★ ★

وجدته جالسًا فى نفس المكان الذى اعتادت أن تلقاه فيه .. نفس المكان الذى شهد فراقهما .

وما إن رآها مقبلة حتى هب واقفا ، بينما قالت له بلهجة تعمدت أن تبدو جافة :

- ها أنا قد جئت .. ماذا تريد يا (مجدى) ؟

قال وقد بدا وجهه شاحبًا :

- ألا تجلسين أولًا ؟

قالت وهى تجلس :

- لا أريد أن أتأخر .. بضع دقائق فقط وسوف أنصرف .

نظر إليها بعتاب قائلًا :

- هل صار لقاؤنا مزعجًا إلى هذا الحد ؟

وأحست (منى) أنه يسعى لاستمالتها إليه مرة أخرى .. فقالت له بجدية :

- لم تخبرنى بعد بالسبب الذى دعاك لأن تطلب مقابلتى على هذا الوجه من السرعة .

أطرق برأسه قائلًا :

- سأخبرك .

- وبدأ يروى ما لديه .

★ ★ ★



١٢ ـ القلب الحائر ..

عض على شفتيه قائلًا :

ـ أريد منك أن تعرفى الأسباب التى حملتنى على أن أقول لك ما قلته فى ذلك اليوم الذى شهد فراقنا .. وفى نفس هذا المكان .

ارتبكت (منى) .. فهى لم تكن تتوقع أن يعود إلى الحديث عن ذكرى ذلك اليوم الأليم فى حياتها .. غير أنها تجلدت وتظاهرت بعدم الاكتراث قائلة :

ـ لقد اتفقنا على ألا نتكلم عن الماضى مرة أخرى يا (مجدى) .. أعتقد أننا قد ودعناه وانتهينا منه .

نظر إليها وفى عينيه إصرار قائلًا :

ـ بالنسبة لى فهذا الماضى لم ينته أبدًا .. فما زالت مشاعرى نحوك كما هى وحبك لم يبارح قلبى أبدًا .

وبرغم خفقان قلبها بشدة لقوله هذا .. إلا أنها حاولت أن توقفه عن الاستمرار فى حديثه هذا قائلة :

ـ (مجدى) .. أرجوك ..

ولكنها قاطعها متوسلًا وهو يقول :

ـ أرجوك أنت .. دعينى أقل كل ما لدى .. وكل

ما أخفيته عنك وتسبب فى هذه الغلطة الفظيعة التى جعلتنا نفترق ، برغم الحب الكبير الذى جمع بيننا . وحاولت أن تخفى فضولها الشديد ، وهى تقول :

ـ ماذا تريد أن تقول يا (مجدى) ؟

(مجدى) :

ـ كل ما قلته لك فى ذلك اليوم كان كذبًا .

انتفضت كأنما مسها تيار كهربائىّ وهى تردد كلمته قائلة :

ـ كذب .

(مجدى) :

ـ نعم .. لقد كذبت عليك يا (منى) .. لقد سافرت إلى (سوريا) وأنا أحبك ، وعدت منها وأنا أشد حبًا لك عن ذى قبل .. غير أنى سمعت هناك ما أفسد علىّ حياتى ، وبدد أحلامى ، ودفعنى إلى الكذب الذى حرمنى منك .

لقد أخبرنى عمى قبل رحيله عن الدنيا ، أن أبى كان مصابًا بعاهة عقلية اشتدت وطأتها فى العشر سنوات الأخيرة من حياته .. وأنه كان يتعرض على فترات متقاربة لنوبات صرع شديدة فقد على إثر إحداها حياته ، كما أخبرنى أيضًا أن أباه ـ أى جدى ـ كان مصابًا بذات العاهة ، وأنه توفى فى مصحة للأمراض العقلية ، وأن لى عمًا آخر هاجر إلى

أستراليا من سنوات طويلة .. وبرغم أن هذا العم - شأن عمى الذى كان يعيش فى أستراليا - لم يتعرض للإصابة بهذه العاهة العقلية .. وكان طبيعيًا وسليمًا من الناحية النفسية إلا أنه عندما تزوج وأنجب جاءت ابنته مريضة بذات الداء ، ومعنى ذلك يا (منى) أن الخلل العقلى كان مرضًا وراثيًا فى عائلتنا . هذا ما تبينته وأنا فى هذه المرحلة من العمر ، ولم أكن أعرف عنه شيئًا من قبل لأننى فقدت أبى وأمى وأنا طفل صغير لا أعلم عن الدنيا شيئًا . ولنفس هذا السبب رفض عمى أن يتزوج طوال حياته برغم ثرائه ، واكتفى بالحياة وحيدًا فى تلك البلدة التى اختارها مقرًا له .

ولم يخبرنى خالى الذى تعهدنى بالتربية والرعاية أى شىء عن ماضى أبى وجدى .. بل كان دائمًا حريصًا على أن يشيد أمامى به وبذكائه وبأخلاقه ، ورحل عن هذه الدنيا دون أن أعرف شيئًا عن حقيقة مرض أبى ، أما عمى الذى سافرت إليه .. فقد أخبرنى أنه يريد أن يخلص ضميره نحوى من كل شىء قبل أن يفارق الحياة ، وهو يشعر بدنو أجله ، فأطلعنى على حقيقة مرض أبى ، وعن أنه استغل وصايته عليه بحكم اختلال قواه العقلية ، فاستولى على إرثه والمال الذى آل إليه من أمه وهرب إلى (سوريا) دون أن يعرف أحد شيئًا عنه بعد وفاة أبى مباشرة ، وهناك استطاع أن

يستثمر أمواله إلى جانب أموال أبى ليصبح واحدًا من كبار الأغنياء .. لذا فقد أوصى لى بهذه الثروة ، وقام باتخاذ بعض الإجراءات القانونية خلال وجودى هناك ، لكى تئول إلىّ كاملة من بعده ، معتقدًا أنه بذلك يرد لى حقى ويريح ضميره المثقل قبل وفاته .

وبرغم الثروة التى هبطت علىّ من السماء كما قلت لك من قبل .. والتى كانت كفيله بأن تجعلنى فى أقصى درجات السعادة ، إلا أننى لم أستقبلها إلا بالحزن والتعاسة .

فقد كان معنى ما سمعته ، وهو أن الجنون متوارث فى أسرتنا .. أننى لا يمكن أن أخاطر بالزواج منك .

كان يتكلم و (منى) تحدق بوجهه .. واستطرد قائلًا :

- وما أفظع أن يتزوج المرء وهو يعلم أنه سيرزق طفلا سوف يموت يومًا مجنونًا .. وما أفظع أن يسعى إلى الزواج رجل قد تنتابه فى إحدى مراحل عمره عاهة عقلية .. تؤثر على تفكيره وتوازنه .

فقد سمعت من عمى أن أبى كان سليمًا تمامًا من الناحية العقلية ، وأن نوبات الصرع والخلل العقلى قد بدأت تنتابه وهو فى الثامنة عشرة من عمره ، ثم ما لبثت أن ازدادت حدة المرض عليه مع تقدمه فى العمر . أجل يا (منى) لقد خشيت أن يكون مصيرى أو مصير ابنى مثل مصير أبى وجدى وابنة عمى .

لقد أشفقت عليك من الكارثة التى قد أجلبها إليك إذا ما تزوجتك وحدث ما خشيته .. فاستقر رأيى على أن أنهى الأمر بيننا ، وأن أدعى بأننى لم أحبك لكى نفترق ، وتعيشين حياة طبيعية مع رجل آخر .

وشحب وجه (منى) . واهتزت وهى تقول له :

ـ ولكن .. لماذا ...

قاطعها قائلًا :

ـ أعرف ما الذى تريدين قوله ؛ تريدين أن تعرفى لماذا لم أخبرك بالحقيقة ؟ لو كنت قد أخبرتك بالحقيقة يومها ، لكان ذلك قد زادك إصرارًا على التمسك بى .

أنت ستقولين لى لا تحفل بذلك يا (مجدى) . فليس كل مختلَ عقليًا يلد مختلًا عقليًا .. وأن علىّ أن أتخلص من هذه الأوهام وألقيها وراء ظهرى ، أجل هذا ما خشيته ، وخشيت أيضًا أن تملئى قلبى اطمئنانًا لا أساس له ، ولو كان الزواج قد تم لعشنا مهددين مروعين .. خوفًا من أن ننجب طفلة أو طفلًا مجنونًا .. وقد كنت أعلم مدى حبك للأطفال .

كان يتكلم بصوت متهدج حزين .. وقالت له (منى) بأسى :

ـ ليتك أخبرتنى بذلك من قبل يا (مجدى) .

وأحست بلوعة وندم لتلك الأفكار السوداء التى انتابتها

عنه واتهامها له بالغدر والخيانة .. وإيثار المال على حبه لها ، بينما هو يضحى بقلبه ومشاعره حرصًا عليها وعلى أن تختار لنفسها حياة أفضل دون خوف ولا تهديد فى المستقبل .. وهذا ما فعلته .. كم كانت حمقاء مندفعة أنانية ، ولكنه هو أيضًا مخطئ .. لقد أخطأ فى حقها لأنه لم يمنحها الفرصة لكى تختار .. وقرر أن يختار النهاية بنفسه .

وتحولت إليه فى غضب قائلة :

ـ كان يتعين عليك أن تخبرنى بالحقيقة .. لم يكن من حقك أن تخفى على شيئًا .. فقد كنا شركاء فى هذا الحب .. فلماذا لم تجعل لى نصيبًا فى التضحية من أجله .

(مجدى) :

ـ لن أكن لأسمح لك بذلك يا (منى) .

(منى) :

ـ على الأقل كان يمكننا أن نتزوج دون إنجاب .

(مجدى) :

ـ ولكن أنا نفسى كنت مهددًا بالجنون .

(منى) :

ـ هذا هراء ، فلا يمكن أن ينتابك الجنون وأنت فى هذه السن .

ثم قالت له وقد ازداد صوتها لوعة وألمًا :

ـ على الأقل كنت قد حرمت على نفسى الزواج من آخر مكتفية بحبك لى .. فليس من العدل أن تبقى أنت طوال حياتك وحيدا دون زواج .. بينما أنا متزوجة من آخر ، وأحيا فى ظل حياة طبيعية .. لقد دفعنى إلى هذا الزواج نقمتى عليك وإحساسى بأنك قد تخليت عنى وغدرت بى دون أسباب .. أما لو كنت قد علمت بالحقيقة ...

قاطعها وعلى وجهه ملامح الجدية :

ـ بإمكاننا أن نصلح ما انكسر .. وأن نعيد الأمور إلى ما كانت عليه ، ثم ضغط على كلماته وهو يستطرد قائلًا :

ـ إذا ما أردت ذلك حقيقة ، وكنت جادة بشأنه يا (منى) .

نظرت إليه بدهشة قائلة :

ـ ماذا تعنى ؟

قال دون أن يتخلى عن حديثه :

ـ تطلبين الطلاق من زوجك .. ثم .. ثم .. نتم ما بدأناه .. أعنى نتوج حبنا بالزواج .

فاجأها قوله .. فظلت تحدق فيه دون أن تنطق بشىء ، فى حين اردف هو قائلًا :

ـ لا تظنى أننى تخليت عن رغبتى فى التضحية من أجلك ، أو أننى غيرت رأيى بهذا الشأن .. أو أحاول حتى

استغلال مشاعرك نحوى الآن ، لا يا (منى) .. لست أنا ذلك الرجل ، ولا أقبل أن أكونه خاصة بالنسبة لك .. إن ما دفعنى إلى الحديث إليك وكشف الحقيقة التى أخفيتها عنك الآن ، هو أننى عرفت خلال الأيام الماضية أشياء قلبت كل شىء رأسًا على عقب ، أشياء تجعلنى أستطيع أن أتحدث إليك الآن دون خوف أو قلق ، وأطالب بما أضعته من قبل .. أطالب بعودة الإنسانة الوحيدة التى أحببتها .

إننى منذ أن عدت إلى مصر وأنا لم أهدأ .. فبعد الصدمة التى تلقيتها عن حقيقة الجنون المتوارث فى أسرتى ، ظللت أبحث عما يؤكد لى ما قاله عمى ، برغم ثقتى بما قاله .. ولكنى كنت فى حاجة إلى الحصول على بعض التفاصيل . ظللت أنقب فى البلدة التى كنا نعيش فيها قبل أن يأتى بى خالى إلى مصر ، واهتديت فى النهاية إلى سيدة عجوز كانت تعمل فى منزلنا .. بل إنها تربت فيه تقريبًا وكانت تعد وكأنها إحدى أفراده .

لقد تنقلت هذه السيدة لخدمة عدد من الأسر بعد وفاة أبى وأمى حتى استقر بها المقام فى النهاية فى بلدتها فى (أسوان) .. سافرت إليها بعد جهد مضن من البحث .. وهناك عرفت منها الحقيقة التى لا يعرفها أحد سواها .

عرفت أن الرجل والسيدة اللذين عشت طوال عمرى أعتقد

أنهما أبواى ، لم يكونا كذلك .. وأننى كنت ابنا لهما بالتبنى .. أجل .. لقد أدرك أبى أو بمعنى أصح الرجل الذى تبنانى حقيقة مرضه .. قبل أن تستحفل نتائجه .. وأحس بالأسى من أجل زوجته التى قبلت أن تستمر معه برغم معرفتها بحالته ومعاناتها من أجل ذلك .. خاصة وقد اتفقا على عدم الإنجاب لنفس الأسباب التى دفعتنى إلى عدم الزواج منك .

ولكنه أحس بمدى الحرمان الذى تعانيه زوجته ، وحاجتها الماسة إلى وجود طفل تشبع به حرمانها من الأمومة ، ويخفف عنها حياتها مع رجل مختل عقليًا وتنتابه نوبات صرع من آن لآخر .

وصرح الرجل بذلك لأمه .. فاستقر رأيهما على تبنى طفل من أحد الملاجئ دون إخبار أحد ثم السفر به إلى منزل الأسرة فى الاسكندرية لمدة تسعة أشهر ، والعودة بعد ذلك إلى البلدة مرة أخرى ومعهما هذا الطفل ، لإيهام الجميع بأن هذا الطفل هو ابنهما الحقيقى ، وأنه تم إنجابه خلال إقامتهما فى الاسكندرية . ولم يعرف بهذه الحقيقة أحد سوى جدتى التى رافقتهما إلى الاسكندرية وتلك السيدة التى كانت تعمل فى خدمة هذه الأسرة ، والتى رافقتهما بدورها ، إذ أرادت الأم أن يبدو هذا الطفل أمام الجميع وكأنه ابنها الحقيقى دون أن يعلم أحد بأمر التبنى .. بل

ربما صدقت هى نفسها ذلك فيما بعد ، وأن الطفل هو ابنها الحقيقى .. من شدة تعلقها به وحبها له .. إذ جاء بمثابة تعويض لها عن حرمانها من الابن والزوج فى آن واحد .. وهكذا عرفت أننى ابن بالتبنى .. وأن الاسم الذى أحمله ليس هو اسم أبى الحقيقى .. بل الحقيقة هى أننى جئت من أحد الملاجئ لأتربى فى أحضان هذه الأسرة .

شخص غيرى كان يمكن أن يصدمه هذا .. ولكن ربما كنت الإنسان الوحيد الذى أسعده أن يعرف بأنه قد جاء من ملجأ .. فهذا يعنى أنه لم يعد هناك وجود لمخاوفى .. وأن بذرة الجنون التى كنت أظن أننى أحملها لا وجود لها وأننى شخص طبيعى وسليم وأستطيع أن أنجب أبناء طبيعيين .. وعندما عرفت ذلك فقط قررت أن أخبرك بالحقيقة كاملة .

صمتت (منى) دون أن تجيبه بشىء .. كانت ما زالت واقعة تحت تأثير تلك الأسرار المجهولة التى فاجأها بها ، وأردف هو قائلًا :

ـ لقد غضبت منى منذ لحظات .. لأننى لم أصارحك بالحقيقة منذ البداية ولم أدع لك مجالًا للاختيار .

وها أنا قد أطلعتك على كل ما خفى عنك ، ويتعين عليك الآن أن تختارى .

ظلت محتفظة بصمتها وهى مشتتة الفكر .. فالاختيار الآن صعب وقاس .

ان عليها أن تختار بين شخصين ، أحدهما هو حبيبها الذى ظلمته واتهمته بالغدر والخيانة ، فى حين أراد هو أن يجنبها الحياة معه ، أو التمسك به تحت مظلة الخوف من مستقبل تعس ، وهو فى نفس الوقت الشخص الذى كان حلم حياتها .. والآخر هو زوجها الذى أحبها ووقف معها فى أحلك الأوقات ، ليقدم لها الحب والحنان والأمن والاستقرار .. ولم يتوان يومًا ما فى سبيل إسعادها ، كما أنه لم يرتكب فى حقها خطأ واحدًا يدعوها إلى التخلى عنه وتحطيم قلبه ، خاصة وقد بدأ قلبها يتفتح له خلال الأيام الأخيرة .. ياله من اختيار مضن قاس .

وأفاقت من أفكارها المتصارعة على صوت (مجدى) وهو يقول لها :

- (منى) .. ان علينا أن نصحح ما ارتكبناه من خطأ .. إننا كنا وما زلنا متحابين .. كل جوارحنا تنطق بذلك .. ولا سبيل أمامنا سوى أن نتزوج .

لقد عرفت أن زوجك رجل كريم الخلق .. وأعتقد أنه لن يقف فى سبيل تحقيق رغبتك .. إذا ما طلبت منه الطلاق .

رددت لنفسها هذه الكلمة الأخيرة قائلة :

- الطلاق .. يالها من كلمة قاسية !

نعم إنها تعرف أن (نبيل) لن يقف فى سبيل تحقيق رغبتها ، إذا ما طالبته بأن يطلقها حتى لو كان فى ذلك تحطيم لقلبه وجرح قاسٍ لمشاعره ؛ فهو نفسه قد قال لها ذلك أكثر من مرة .. قال لها إنه لن يقف عقبة فى سبيل تحررها من الارتباط به إذا ما أرادت ذلك ، وإذا ما أحست يومًا ما بأن حبه لها وزواجه منها قيد يكبل حريتها ومشاعرها ، وكأنه كان يشعر بأن ذلك سيحدث يومًا ما .. وبأنها لا تبادله حبًا حقيقيًا .

ولكن فى الفترة الأخيرة .. أجل فى الفترة الأخيرة حدث بينهما شىء ما .. لقد بدأت مشاعرها تتحرك نحوه .. وبدأ قلبها يستجيب له . ربما لم يكن ذلك بنفس قوة حبها لـ (مجدى) والذى سعت لأن تنساه .. ولكن ربما كانت هذه هى البداية ، لقد بدأت تحس بـ (نبيل) .. ليس كرجل كريم وعطوف يمتلئ نحوها حبًا وحنانًا فقط .. ولكنها أحست بأن قلبها بدأ يخفق له وأن بقى الكثير من خفقاته مرتبطًا بالماضى .

ومرة أخرى أفاقت من أفكارها المبلبلة على صوت (مجدى) وهو يقول :

- (منى) .. لماذا أنت صامتة ؟ لماذا لا تقولين شيئًا ؟

قالت بصوت هامس :

- (مجدى) .. امنحنى وقتًا لكى أفكر .

(مجدى) :

- الأمر ليس بحاجة إلى تفكير .. فكل منا بحاجة ماسة إلى الآخر .. وعلينا أن نصحح الخطأ الذى أضاع كلًا منا من الآخر .

(منى) :

- ولكن لى زوجًا الآن .. وهو يحبنى بكل جوارحه .

(مجدى) :

- وأنت .. هل تحبينه ؟

لاذت بالصمت .. فأعاد السؤال عليها مرة أخرى قائلًا :

- أجيبينى .. هل تحبينه ؟

أرأيت .. ها أنت عاجزة عن الإجابة .. إننى أعلم أنك لا تريدين الإساءة إليه .. وأنك تقدرينه وتحترمينه .. ولكن الحب شىء آخر يا (منى) ، وأنا أعرف أنك ما زلت تحبيننى كما أحبك .. وليس من الصواب أن تبقى مع زوج لا تحبينه ، وقلبك مع آخر .. يجب أن تطلبى منه الطلاق .. كما يجب أن نتزوج .

هزت رأسها وهى تقول بانفعال :

- أرجوك يا (مجدى) .. قلت لك إننى بحاجة إلى فرصة للتفكير ، كل تلك الأشياء التى فاجأتنى بها اليوم أقوى

من احتمالى .. دع لى الفرصة لكى أفكر وأتخذ القرار الصحيح .

(مجدى) :

- حسن يا (منى) .. خذى وقتك فى التفكير وأنا واثق بأنك ستهتدين إلى القرار المناسب والذى سيمليه عليك قلبك .. واثق تمامًا .

* * *



١٢ - أنت فى وجدانى ..

عادت (منى) إلى المنزل لتجد شخصين من الموظفين اللذين يعملون مع زوجها واقفين بالردهة ، ومعهما شخص آخر يتحدث إليهما .

وما إن رأياها حتى اندفع أحدهما نحوها قائلًا :

- (منى) هانم .. الحمد لله .. على أنك جئت الآن .. لقد أحس (نبيل) بك بتعب مفاجئ واضطررنا إلى نقله إلى المنزل واستدعاء الطبيب له .

فزعت (منى) لهذا الخبر المفاجئ ، فاندفعت نحو حجرة زوجها ، لكن أحدهما استوقفها قائلًا :

- لا داعى لكل هذا الانزعاج فقد طمأننا الطبيب .

وتحدث إليها الطبيب قائلًا:

- زوجك يحتاج فقط لبعض الراحة .. فيبدو أنه قد أرهق نفسه كثيرًا فى العمل مما أثر بعض الشىء على صحته .. ولكنه سيعافى ويعود إلى حالته الطبيعية خلال يوم أو اثنين على الأكثر بعد أن يتناول هذا الدواء .

وقدم لها الروشتة الطبية التى التقطها منها أحد موظفى الشركة قائلًا :

- سأحضر الدواء بنفسى .

ودخلت (منى) إلى حجرة زوجها حيث وجدته راقدًا على الفراش ، وهو يستقبلها بابتسامة مرحبة قائلًا:

- لابد أن هؤلاء الأشخاص قد تسببوا فى إزعاجك بشأنى ، الأمر لا يستحق هذا القلق الذى أراه فى عينيك .

جلست بجواره على الفراش قائلة :

- لماذا ترهق نفسك فى العمل على هذا النحو يا حبيبى ؟ إنك لا تعرف مدى ما أصابنى من فزع ، عندما وجدت هؤلاء الأشخاص فى الخارج ، وأخبرونى بأنك مريض .

(نبيل) :

- كل ما فى الأمر أننى شعرت ببعض الإرهاق .. ألم يخبرك الطبيب بذلك ؟

(منى) :

- نعم .. وأخبرنى أيضًا أنك بحاجة ماسة لبعض الراحة .

(نبيل) :

- ولكن العملية التجارية التى أتولى أمرها ...

قاطعته قائلة ، وهى تضع أصابعها على شفتيه :

- لا حديث عن أية عمليات تجارية الآن .. لديك فى

مكتبك موظفون أكفاء يستطيعون تحمل بعض الأعباء فى غيابك .. فصحتك أهم من أى شىء آخر .

قبل أصابعها وهو ينظر إليها بحنان قائلًا :

- هل تهمك صحتى إلى هذا الحد حقًا يا (منى) ؟

قالت معاتبة :

- أهذا سؤال تسأله ؟ بالطبع .. ألست زوجتك ؟

قال بصوت حنون :

- وحبيبتى أيضًا .

ثم أردف :

- على كل حال .. لقد عملت لكل شىء حسابه .. فقد سجلت هذه الشقة باسمك ، وجعلتك شريكة لى فى مكتبى .. كما أننى حررت وثيقة تأمين باسمك أيضًا . فإذا ما تعرضت لمكروه أو توفيت فسوف أموت مطمئنًا عليك ، وعلى أنك لن تحتاجى لشىء من بعدى .

ارتسم الجزع على وجهها وهى تتراجع برأسها إلى الخلف قائلة :

- لا أريد أن أسمعك تقول هذا .

ثم ألقت برأسها فوق صدره وهى تردف قائلة :

- أن ما أحتاج إليه فى حياتى هو وجودك أنت .. فلا قيمة لأى شىء بدونك .

كانت صادقة فيما قالته .. لقد أحست بالفزع بالفعل لمجرد تصورها فكرة رحيله عنها ، وأن تجد نفسها ذات يوم بدون هذا الرجل فى حياتها ، إنها لا تحتمل مجرد الفكرة .. وهذا يعنى .. يعنى أنها أصبحت تحب هذا الرجل زوجها .. وأنه لم يعد قيد الزواج فقط هو الذى يلزمها بالارتباط به .. بل وحبها له أيضًا .

لقد تغلغل (نبيل) فى مشاعرها ووجدانها دون أن تدرى على مر الأيام ، ولم تكن بحاجة إلا لموقف كهذا لتتبين هذه الحقيقة التى لم تكن هى نفسها تعرفها ، وما إن تبينت ذلك فى أعماقها حتى وجدت نفسها وقد أجهشت بالبكاء ، بكاء حار .. اختلطت فيه عبراتها ومشاعرها ، كانت عبرات حنان جارف ، اجتاحتها فجأة نحو زوجها ، بعد أن تبينت مدى حبها له وخوفها عليه ، وعبرات فرحة لتخلصها من حيرتها بعد أن استقرت على الرجل الذى ستختار .. وقد كانت منذ قليل مبلبلة الخاطر ممزقة المشاعر على إثر ما سمعته من (مجدى) :

ورفع (نبيل) وجهها إليه قائلًا :

- (منى) .. لماذا تبكين ؟

ثم قبل جبهتها بحنان وهو يظن أنها تبكى خوفًا عليه :

- لا داعى لكل هذه العبرات الغالية .. فالأمر لا يستحق كل هذا .

قالت وهى تعانقه :

ـ (نبيل) .. إننى أحبك .. أحبك كثيرًا .

ظل للحظة ينظر إليها وكأنه غير مصدق ..ثم ما لبث أن نطق وجهه بكل ملامح السعادة وهو يحيطها بذراعيه قائلًا :

ـ يا حبيبتى .. إننى لم أسمعك تقولينها هكذا من قبل .

وبالفعل كانت (منى) أكثر صدقًا من أية مرة سابقة ، قالت له إنها تحبه .. لم تكن بحاجة هذه المرة إلى تمثيل أو ادعاء .. لقد أصبح قلبها خالصًا له بعد أن تخلص من آثار الماضى ..

كلها ..

* * *

فى إحدى الحفلات التى دُعى إليها رجال الأعمال جاءت (منى) وهى تتأبط ذراع زوجها ، وانخرط الاثنان وسط المدعوين حيث بقيت (منى) قريبة من زوجها فى كل خطواته حريصة على عدم الابتعاد عنه .

وفجأة تجمدت فى مكانها عندما وجدت (مجدى) على بعد خطوات منها ، وهو يحدق فيها وفى عينيه نظرة متسائلة ، وأحست باضطراب شديد .. فأخذت تتراجع إلى الخلف حتى كادت تصطدم بأحد المقاعد خلفها ، وخشيت

أن يلحظ زوجها ذلك .. فنظرت إليه ولكنها وجدته لحسن حظها منشغلًا بالحديث إلى عدد من الأشخاص .

وأدارت ظهرها لـ (مجدى) متجهة إلى أحد أركان القاعة وهى تتظاهر بتناول بعض المرطبات .. ولكنه لحق بها ووقف إلى جوارها ليهمس لها قائلًا :

ـ (منى) .. أريد التحدث إليك .

قالت هامسة وهى تنظر إلى زوجها بخوف :

ـ أرجوك يا (مجدى) .. زوجى معى هنا .

قال بإصرار :

ـ أعلم ذلك .. ولكن يجب أن نتحدث ، سأسبقك إلى الشرفة ، وعليك أن تلحقى بى هناك .

لم تجد بدًا إزاء إصراره من اللحاق به فى الشرفة حيث وجدته مستندًا إلى سياجها ، وهو ينظر إلى الحديقة الممتدة أمامه .

فقالت باضطراب :

ـ ما الذى جعلك تأتى إلى هنا ؟

تحول إليها بغضب قائلًا :

ـ هل نسيت أننى أيضًا من رجال الأعمال مثل زوجك ؟ (منى) .. لماذا لم تتصلى بى كما اتفقنا لتخبرينى بما استقر عليه رأيك ؟ لقد احترمتُ رغبتك فى منحك فرصة للتفكير

وتدبير الأمر ، ولكنى أعتقد أن الأمر لم يكن يحتاج إلى كل هذا الوقت للتفكير .. فقد مرت ثمانية أيام منذ أن التقينا .

قالت وقد استردت بعض هدوئها :

ـ معك حق .. لقد كنت فى سبيلى للاتصال بك .. ولكنى كنت أبحث عن وسيلة مناسبة لكى أخبرك بما استقر عليه قرارى ، دون أن أجرح مشاعرك أو أتسبب فى إيلامك ..

نظر إليها باضطراب قائلا :

ـ هل يعنى هذا أنك ...

قاطعته قائلة :

ـ نعم يا (مجدى) .. لن أستطيع أن أنفصل عن (نبيل) .. ليس لأنه هو الرجل الذى أقدره وأحترمه فقط .. وليس بسبب امتنانى لوقوفه معى فى أحلك لحظات حياتى .. وليس لأنه منحنى الحب والأمان والاستقرار ، ولكن لأننى اكتشفت أننى أحب (نبيل) ولا أستطيع الابتعاد عنه .

قال (مجدى) بأسى :

ـ ولكن أين ذهب الذى جمع بيننا يا (منى) ؟

(منى) :

ـ صار جزءًا من الماضى يا (مجدى) .. ذكرى جميلة عشناها فى إحدى مراحل عمرنا .. أما حاضرى ومستقبلى فهو مع زوجى .

ارتسمت ملامح الحزن على وجه (مجدى) وهو يستمع إليها .

وقالت له محاولة أن تخفف من وقع الأمر عليه :

ـ أرجوك يا(مجدى) لا تنقم علىَّ بسبب ذلك .. لقد أردت منى أن أختار ، وأردت أن أكون صريحة معك ومع نفسى .. علينا أن نحتفظ بالماضى كجزء عزيز من ذكرياتنا ، وعليك أنت أيضًا أن تنظر إلى الحاضر نظرة مختلفة .. فأنت شاب وسيم وثرى ، والحياة ما زالت أمامك مفتوحة ، وستجد ذات يوم فتاة تسعد بها كزوجة وحبيبة ، وتعيش معها الحاضر والمستقبل كما استقرت عليه الأمور مع زوجى .

وفى تلك اللحظة وجدت زوجها مقبلًا نحوها فابتعدت عنه وأسرعت لاستقباله .

وسألها (نبيل) :

ـ أين كنت ؟. كنت أبحث عنك .

ابتسمت له قائلة :

ـ كنت أستنشق بعض الهواء .

وتعلقت بذراعه متجهة معه إلى الداخل ، فى حين تابعهما (مجدى) بعينيه وهو يدرك أنه لا مفر من الوداع هذه المرة .. وأنه لم يعد أمامه سوى الانسحاب من حياتها

لتهنأ بحاضرها ومستقبلها مع الزوج الذى تحبه .

أما هو فلا يعرف ما الذى سيكشف له عنه المستقبل .. ولكنه يعرف جيدًا أنه ما زال يحيا حتى الآن فى هذا الماضى ، الذى تريد منه (منى) أن ينساه ، وما زال مرتبطًا بهذا الحب الذى أضاعه من يده ذات يوم .

وغادر (مجدى) الحفل ، فى حين شدَّدت (منى) من تعلقها بذراع زوجها وهى تراقبه فى أثناء خروجه .. وكأنها تتمسك باختيارها .. وتصر على بقائها مع الرجل الذى تزوجته .

والذى أحبته .



[تمت بحمد الله]



رقم الإيداع : ٧٨٤٨

زهور

سلسلة رومانسية رفيعة المستوى

السلسلة الوحيدة التى لا يجد الأب أو الأم حرجًا من وجودها بالمنزل

المؤلف



أ. شريف شوقى



اللقاء الأخير

عاشت (منى) صراعًا قاسيًا مع نفسها ومشاعرها بين رجل هو جزء من ماضيها وحلمها القديم، وآخر أصبح جزءًا من حاضرها الذى تحياه .

وكان عليها فى النهاية أن تحسم هذا الصراع .

الثمن فى مصر ١٢٥ ص
وما يعادله بالدولار الأمريكى فى سائر الدول العربية والعالم